شاد العمائر بمكة
في العصر المملوكي الثاني
"سودون المحمدي ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م
أنموذجا"

د/ رانيا أحمد محمد إسماعيل

مُدرس بقسم التاريخ-كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة

جامعة الأزهر

شاد العمائر بمكة في العصر المملوكي الثاني
"سودون المحمدي ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م أنموذجا"

د/ رانيا أحمد محمد إسماعيل

مُدرس بقسم التاريخ – كلية الدراسات الإنسانية

بالقاهرة – جامعة الأزهر

ملخص البحث:

يتناول البحث اهتمام سلاطين المماليك بعمارة المسجد الحرام والنفقة على ذلك، حيث خصصت لذلك الكثير من الأوقاف بمصر، وقام السلاطين بإسناد تلك المهام في بعض الأحيان لأمراء العشرة من أجل تشييد العمائر في البيت الحرام ومباشرتها، وتشمل فترة البحث الزمنية فترةً من عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤٢هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م) وجزءًا من عهد الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) وقد أظهر البحث مدى عناية السلاطين بعمارة البيت الحرام؛ لنيل رضا الله وكسب محبة الشعب، لما لبلاد الحرمين الشريفين من مكانة في قلب المسلمين قاطبة.

ويتناول البحث إصلاحات سودون المحمدي ت٨٥٠هـ/١٤٤٦م في هذيْن العهديْن، وقد شملت إصلاحاته في الفترة الأولى، تجديد مقام السادة الحنفية، وتجديد سقف الكعبة، واهتم بإصلاح مئذنة سويقة. أما الفترة الثانية فقد توسعت إصلاحاته، واهتم بسقف الكعبة مرة أخرى، بجانب أنه عمَّر عدة مآذن وعمَّر بعض أميال السعي، ونالت المقامات نصيبًا من اهتمامه، كما عمَّر مسجد نمرة، وأزال بعض الأشجار التي تعيق حركة الحجاج وغير ذلك من الإصلاحات المتنوعة، ولم تقتصر مهمته على العمارة فقط، بل أُسندت إليه نظارة المسجد الحرام وما

يتطلب ذلك من مباشرة أمور الحرم، فضلاً عن مقاتلة عرب بلى قاطعي طريق الحجِّ وغير ذلك من المهمات التي كُلِّف بها.

الكلمات المفتاحية : المسجد الحرام ، مآذن المسجد ، شاد العمائر .

Shad buildings in Mecca in the Mamluk era II "sodon Mohammedan t 850/1446 m model"

Dr Rania Ahmed Mohamed Ismail
Lecturer History Department-Faculty of Humanities, Cairo
The University of Al-Azhar

Abstract search:

Mamluk sultans of interest dealt with Masjid Al-Haram, alimony, allocating so many endowments by Egypt, the sultans by assigning these tasks sometimes for ten Lords for the construction of buildings in the sacred House and initiated, include the time period a period of reign of Ashraf Barsbay 825-842/1422-1437, part of the apparent era jaqmaq 842-857/1438-1453 and research showed how carefully the sultans by building sacred House; to placate Allah and earn the love of the people, the land of custodian of his place at the heart of all Muslims.

Search addresses sodon reforms Mohammedan t 850/1446 m in these two sarcophagi, which included his reforms in the first period, renew Maqam masters, Kaaba, roof renovation care fix minaret peduncle.

The second period had expanded his reforms, and care about the roof of the Kaaba again, besides several old minarets and some miles quest, and the denominators share of attention as Omar namera mosque and removed some trees that impede the movement of pilgrims and other miscellaneous fixes His mission was not limited to architecture, but its Grand Mosque and glasses that require direct things Haram as well as Arab fighter wear the Pilgrim bandits and other mandated tasks.

Key words: Masjid Al-Haram, the mosque minarets, Shad buildings.

محاور البحث:

- المقدمة.
- اهتمام سلاطين المماليك بالحجاز
- وظيفة شاد العمائر.
- حياة سودون ونشأته.
- تدرج سودون المحمدي في الوظائف.

أولاً: الخاصكية.

ثانياً: وظيفة رأس نوبة الجمدارية.

ثالثاً: إمرة عشرة.

رابعاً: نيابة قلعة دمشق.

- تولية سودون المحمدي وظيفة شاد العمائر.
- الفترة الأولى: في عهد الأشرف برسباي.

أولاً: تجديد مقام السادة الحنفية.

ثانياً: إصلاح سقف الكعبة.

ثالثاً: تجديد رخام الشاذروان ورخام الحجر.

رابعاً: شد أروقة المسجد.

خامساً: هدم مئذنة باب سويقة.

- الفترة الثانية: في عهد الظاهر جقمق.

أولاً: إصلاح سقف الكعبة مرة ثانية.

ثانياً: إصلاح حجارة الكعبة.

ثالثاً: إصلاح رخام الحجر.

رابعاً: عمارة الكثير من المآذن.

خامساً: إصلاحات أخرى.

خاتمة.

المقدمة:

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد البرية، وهادي البشرية سيدنا محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

من الدراسات المهمة التي شغلت كثيرًا من الباحثين والعلماء المسلمين وزخرت المكتبات بالمؤلفات القيمة لها دراسة تاريخ بلاد الحرمين وعمارته عبر العصور، لما لبلاد الحرمين من مكانة جليلة في قلب كل مسلم، فهم يفدون إليها شوقاً وحباً ورغبةً في قضاء فريضة الحج، فضلاً عن شغفهم بزيارة قبر الحبيب المصطفىﷺ، وقد قصدت في هذا البحث إلقاء الضوء على دور بعض سلاطين المماليك خاصة الجراكسة منهم في العناية ببلاد الحرمين وعمارتها أثناء عصرهم حيث إنه عصر مهم مليء بالأحداث المتنوعة، وعمدت إلى تخصيص ذلك الضوء على جهودهم في عمارة بلاد الحرمين الشريفين؛ لما تعكسه العمارة من ثقافة الشعوب وحضارتهم.

وتتبعت في هذا البحث دور أمراء العشرة كشادة العمائر وأهميتهم في تلك الفترة ومنزلتهم المقربة لدى السلاطين، وأسباب قربهم من السلاطين وتوليتهم المناصب العليا على الرغم من خمول ذكرهم في فترات أخرى، فضلاً عن المهام المتعددة التي كانت تُسند إليهم وكان التوفيق يصيبهم في أغلب الأوقات. وقد ذكرت المصادر التاريخية الأحداث الخاصة بالعصر المملوكي ومعلومات عن أمراء العشرة متفرقة بين ثنايا سطورها في فترات مختلفة، ويتطلب البحث التنقيب في كتب التاريخ والتراجم والسير، فضلاً عن كتب العمارة الخاصة بعمارة المسجد

الحرام، ومعرفة التغير الذي طرأ على الأماكن المقصودة بالعمارة والترميم للوقوف على دور أمراء العشرة. والله سبحانه من وراء القصد وله الفضل والمنَّة وهو الهادي إلى سواء السبيل.

اهتمام سلاطين المماليك بالحجاز:

حرص سلاطين المماليك على إحكام قبضتهم على بلاد الحجاز؛ لأن هذا من شأنه أن يزيد من هيبتهم أمام العالم الإسلامي، ويضفي على حكمهم الصبْغة الشرعية باعتبارهم حماةً للدين، فضلاً عن موقع بلاد الحجاز على البحر الأحمر مفتاح التجارة في ذلك الوقت، بعد سقوط بغداد ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، الأمر الذي يضمن لهم استمرار التجارة المملوكية، بجانب فرض السيطرة الاقتصادية على الوارد والصادر وفرض المكوس، وكان جو الحجاز مهيأ لذلك منذ بداية الدولة؛ بسبب النزاعات المستمرة بين أشراف مكة، وبالفعل تم بسط السيادة عليها في عهد السلطان بيبرس(٦٥٨-٦٧٨هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)، وتوثقت هذه العلاقة في عهد السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)[١]، وصار

(١) ابن عبدالظاهر (محيي الدين أبوالفضل عبدالله بن رشيد الدين عبدالظاهر السعدي المصري ٦٢٠-٦٩٢هـ/١٢٢٣-١٢٩٢م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور في الفترة ٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م، حققه مراد كامل، راجعه محمد على النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر ١٩٦١م، ص٤٨. اليوسفي (موسى بن محمد بن يحيى ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م): نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، عالم الكتب بيروت، ص٩١. محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٦٢، ٢٦٣.

لقب خادم الحرميْن الشريفيْن من الألقاب التي يعتزون ويفتخرون بها ويظهر هذا بوضوح في تمسكهم بلقب سلطان الديار المصرية والأقطار الحجازية(١).

وقد بالغ سلاطين المماليك في الاحتفاء بالمسجد الحرام والاعتناء بعمارته وإهداء ثمين التحف إليه ووقف الكثير من الأوقاف عليه، بل تسارعوا من أجل فعل الخيرات وعمارة أماكن كثيرة في الحرمين الشريفين، ومن أهم العمارات في المسجد الحرام في عهد المماليك الجراكسة تلك التي كانت في عهد السلطان الناصر أبوالسعادات فرج بن الظاهر برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م) إثر حريق مدمر ٨٠٢هـ/١٣٩٩م حيث ظهرت نار من رباط رامشت- المعروف برباط ناظر الخاص- عند باب الحزورة(٢) في الجانب الغربي من المسجد،

---

(١) ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبوالمحاسن ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧، قدَّمه وعلَّق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٠٢. سعيد عبدالفتاح عاشور: بيبرس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ص١٠٧.

(٢) باب الحَزْوَرَة: عرَّفه الأزرقي بباب بني حكيم بن حزام، وببني الزبير بن العوام والغالب عليه باب الحزامية الذي يلي الخط الحزامي، وعرَّفه الفاسي بأنه باب عزورة، ثم حرفت الكلمة إلى الحزورة، وهي اسم لسوق في الجاهلية دخل في توسعة المسجد، ويُعرف في الوقت الحالي بباب الوداع من أبواب المسجد الحرام في الجانب الغربي منه. الأزرقي (أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد ت٢٥٠هـ/٨٦٤م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج١، دراسة وتحقيق: عبدالملك عبدالله بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م، ص ٦٢٥.
=

وأدى الحريق إلى تخريب ثلث المسجد وتدمير مائة وثلاثين عموداً، وتم إصلاح ما خرب في عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م(١).

وفي عهد المؤيد شيخ المحمودي الظاهري(٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م) كثر الغلاء بمكة وبمصر(٢)، وكان جلّ

=

الفاسي (الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي ٧٥٥هـ -٨٣٢هـ/١٣٥٤-١٤٢٨م): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج١، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٨م، ص، ٣٩٤، حسين عبدالله باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، دار تهامة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص١٢٥، ١٢٦.

(١) ابن فهد (عمر محمد بن محمد بن فهد٨١٢-٨٨٥هـ /١٤٠٩- ١٤٨٠م): إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٣، تحقيق وتقديم: فهيم شلتوت، ص٤٢٨، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الصباغ (محمد أحمد بن سالم محمد المالكي المكي ١٢٤٣هـ -١٣٢١هـ): تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، ج١، تحقيق ودراسة عبدالملك بن عبدالله دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٣٥٨. إبراهيم رفعت باشا: مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ص٢٤٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني المصري الشافعي ٧٧٣هـ-٨٥٢هـ/١٣٧١-١٤٤٨م): إنباء الغُمر بأنباء العُمر، ج٣ تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٠١. الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م، ص٢١٠.

اهتمامه بمكة مصروفًا إلى تنظيم الأمور وسيادة الأحوال الشرعية، مثل منع المؤذنين من المدائح النبوية في المنائر ليلاً ومنع إيقاد المشاعل في المقامات في الأوقات التي جرت العادة في إيقادها؛ لما يحدث من التفاف المصلين والطائفين حولها، ولم تحظ العمارة بالمسجد في عهده باهتمام كبير، وليس معنى ذلك أن عمارة المسجد توقفت في عهده، ففي سنة٨٢٢هـ/١٤١٩م عمرت مواضع كثيرة من رخام الحِجْر [١] الشريف بالجبس عمارة حسنة بعد أن آلت إلى السقوط، وكان الغلاء قد بلغ أشده حتى أُكلت القطط والكلاب والبشر وخاف الناس على أنفسهم من الظهور في الطرقات[٢]، فضلاً عن إصلاحات أخرى[٣].

---

(١) الحِجْر: هو حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام وصفته مدور ما بين الركن الشامي والركن الغربي وأرضه مفروشة بالرخام، وهو قطعة من الكعبة ولكن قريش أخرجته منها عند بنائه، وفيه مات سيدنا إسماعيل عليه السلام وفتح له باب من الجنة يجري عليه منه الروح إلى يوم القيامة وموضعه ما بين الميزاب إلى الحجر الغربي. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٤٣٠ وما بعدها، ابن رسته (أحمد بن عمر، أبوعلي نحو ٣٠٠ هـ/ نحو٩١٢ م): الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٨٩٣م، ص٣٨. الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ص١٢٣. الطبري (علي بن عبد القادر ت١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م): الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبدالفتاح، المكتبة التجارية مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٦٨.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٢٧، ٥٢٨، ٥٦٧.

(٣) النهرواني (محمد أحمد محمود الملقب بقطب الدين الحنفي٩١٧-٩٩٠هـ/١٥١١-١٥٧٢م): الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق وتقديم هشام عبدالعزيز عطا، إشراف السيد عبدالفتاح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ص٢٢٥.

أما في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٧م) فبلغ الاهتمام أشده؛ بسبب أهمية مكة كمركز تجاري في جزيرة العربية، إذ تضم سوقاً تجارياً، يُجلب إليه مختلف أنواع السلع والبضائع التي يأتي بها الحجاج والتجار، فضلاً عن موقعها التجاري على الطريق البري من اليمن والشام ومصر، وهي أيضا بحرية في تجارتها، إذ تبعد عن جدة[١] (مينائها على البحر الأحمر) أربعين ميلاً، وقد تصاعدت أهمية جدة التجارية بعد تحول الطريق التجاري إليها بدلا من ميناء عدن[٢]، حيث ألزمت السلطات المملوكية التجار بعدم رسو سفنهم في عدن؛ نظراً

---

(١) جُدَّة: بالضم والتشديد والجدة من البحر والنهر ما ولي البر، وأصل الجدة الطريق الممتدة ميناء على ساحل البحر الأحمر، وهي فرضة مكة الرئيسي، يؤتي لها برًا وبحرًا وجواً، بينها وبين مكة مرحلتان، وأهلها مياسير ذو أموال وسِعة. الحميري (أبوعبدالله محمد بن أبي عبدالله بن عبدالمنعم الحميري عاش في القرن التاسع الهجري): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م، ص١٥٧.

(٢) عدن: مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ماؤها غير مستطاب، ترسو بها السفن حيث يجتمع بها التجار من أقطاب شتى، لا زرع بها ولا شجر، وهي شديدة الحر، وأهلها ما بين تجار وما بين حمالين وصيادين للسمك. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي٧٠٣-٧٧٩هـ/١٣٠٤-١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج٢، قدمه وحققه ووضع خرائطه وفهارسه: عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ص١١٢. ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي٥٧٤-٦٢٢هـ/١١٧٨-١٢٢٥م) معجم البلدان، ج٤، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٨٠.

لتدهور العلاقات السياسية بين سلاطين مصر وبين سلاطين اليمن ومحاولات المماليك انتزاع اليمن، أضف إلى ذلك التنازع على السلطة الداخلية في اليمن وسياسة التعسف التي اتبعها سلاطين اليمن مع التجار من التفتيش والمكوس، الأمر الذي أراد معه سلاطين المماليك ضرب اليمن اقتصاديا والتقليل من مكانتها[١] ولم ينته الأمر على ذلك بل احتكر السلطان برسباي تجارة الكارم[٢] وأصبحت جدة الميناء الرئيسي على

---

(١) ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي الصفوي المقدسي القاهري الحنفي أبوالصفا (٨١٣- ٨٧٣هـ/١٤١٠-١٤٨٦م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، عني بتصحيحه بولس روايس، مطبعة باريس المحروسة، ١٨٩٤م، ص١٣٧، محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/١٢٣١-١٥١٧م)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ص٤٥٧، ٤٦٠، نعيم زكي فهمي: طرق التجارة بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧م/١٣٩٣هـ، ص١٣٧.

(٢) الكارم: اختلف العلماء في أصل تسمية الكارم قيل إن التسمية مأخوذة من الكانم وهي منطقة إسلامية تقع في السودان الغربي، ثم انتشر الاسم بين من يشتغل بتجارة البهار، ونحوها مما يجلب من الهند واليمن. وفي تفسير آخر إن كلمة كارم ليست عربية بل هي هندية الأصل وغير ذلك، وفي الاصطلاح: هم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق، وهؤلاء التجار يحتكرون التجارة مع الهند وشرق أفريقيا والشرق الأقصى، وقد سموا بتجار الفلفل والبهار. إيلاف عاصم مصطفى القيسي: التجارة الكارمية في عصر المماليك بمصر (١٢٦٠- ١٥١٧م) رسالة دكتوراه كلية التربية، بغداد، ١٤٢٢٧هـ/٢٠٠٦م ص٤٠، محمد محمود خلف العناقرة: الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨-
=

طريق التجارة في البحر الأحمر، فعظُم أمرها وصار يتولى أمرها ناظر يُعين من قبل السلطان، يجبي المكوس والضرائب، ونظراً لأهمية الموظف فكان يُختار من كبار الموظفين المدنيين كالوزراء، وكان تحته موظف عسكري يُعين من أمراء الطلبخاناه(١) أو أمراء العشرات(٢)،

=

٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ص١١٢.

(١) أمراء الطلبخانات: يكون تحت إمرتهم دون المائة من المماليك ويتراوح عدد مماليكهم ما بين الأربعين وثمانين من الأجناد. ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): التعريف بالمصطلح الشريف، عُني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٢.

(٢) أمراء عشرة: ويكون أميرًا على عشرة فوارس ولا ضابط لعدهم يزيد وينقص كما في أمراء الطلبخاناه ومنهم يكونون صغار الولاة وأرباب الوظائف، وكان إقطاع أمير عشرة يبلغ أحياناً تسعة الآف دينار وربما نقص عن ذلك، وكان يخاطب بالمجلس العالي وغير ذلك من الألقاب مثل الأميري النصيري الكبيري المجاهدي المؤيدي وغير ذلك، وكان أمراء العشرة تُسند إليهم وظائف معينة في خدمة السلطان أو خارج خدمة السلطان، ولم يكن لهم نصيب من الإنعامات الدورية التي كان يتفضل بها السلطان على أمراء المئين والطلبخاناه، غير أنه كان يتفقدهم ببعض الإنعام. القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد٧٦٥-٨٢١ هـ/١٣٥٥م -١٤١٨م): صُبح الأعشى، ج٤، المطبعة الأميرية القاهرة، ١٣٣٢هـ /١٩١٤م، ص١٥، ٥٠، ٥٤، ج١٢، ٢٨٦، حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، ص٣٤٧، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٢.

وصارت مهمة الناظر تحصيل المكوس على التجارة الواردة من الهند واليمن(١).

ولم يقف اهتمام الأشرف برسباي على عمارة المسجد فقط؛ بل شمل كل ما يخص المسجد، من أمور أخرى، فقد منع القضاة والفقهاء من مباشرة ما يلحق بهم من مهام حماية أبواب المسجد الحرام، وعين لذلك أشخاصًا جددًا مهمتهم حماية الأبواب والتفرغ لها ونظافتها بمعلوم يُدفع إليهم كل شهر، وهو عشرة دنانير أشرفية(٢) لأن هذه المهنة لا تليق بالعلماء وهذا قرار صائب من السلطان، فضلاً عن إبقاء المنبر قائماً بين مقام إبراهيم عليه السلام(٣)

(١) القلقشندي: صُبح الأعشى، ج٤، ص٢٥٨، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٢٠، ٦٢١، محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، بحث في مجلة دارة الملك عبدالعزيز، بدون تاريخ، ص١٢٩. السيد عبدالعزيز سالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ص٩٥: ١٠٨، نعيم زكي: طرق التجارة، ص١٣٩، ١٤٠، حسن الباشا: الفنون، ج٣، ص١١٩٠، ١١٩١.

(٢) دنانير أشرفية: دنانير ذهبية خالصة وتُعرف بالبرسبيهية نسبة إلى الأشرف برسباي. عبدالرحمن فهمي محمد: النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤م، ص١٠٠.

(٣) مقام إبراهيم عليه السلام: وهو الحجر الذي كان يقف عليه خليل الله لبناء الكعبة وكانت آثار قدمه بارزة فيه حتى عهد الصحابة وهو الذي قام عليه بالآذان للناس. العبدري (أبوعبدالله محمد بن على بن أحمد الحيحي٦٨٩هـ/١٢٩٠م): الرحلة المغربية ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، مخطوطة وقفها أحمد السلموني برواق المغاربة بالجامع الأزهر، ص٨٥، الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١١٧، باسلامة: تاريخ =

ومقام الفقهاء الشافعية[١]، لا يُحرك من مكانه وقت الصلاة ناصية الكعبة المشرفة؛ لما فيه من مشقة على الجميع[٢] واستمرت الإصلاحات في المسجد طوال العصر المملوكي[٣].

=

عمارة المسجد، ص١٣٥، ١٤٤، سائد بكداش: فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيمعليه السلام وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بهما، دار البشائر الإسلامية، ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م، ص٩١، ٩٢، وصي الله محمد بن عباس: المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ، ص٤٤٥.

(١) مقام الشافعية: يقع خلف مقام إبراهيمعليه السلام، وبينه وبين جدار الكعبة الشرقي تسعة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع بذراع الحديد، وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من ساباط مقام إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع، وإمام الشافعية كانت له الأولوية في الصلاة قبل غيره من الأئمة في فترات كثيرة. ابن جبير (أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي٥٣٩هـ-٦١٤هـ/١١٤٤-١٢١٧م): رحلة بن جبير، دار صادر بيروت، ص٨٤، ٨٥، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٠٢، ٤٠٣.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٣، ص ٦٤٥، ٦٤٦، الجزيري الحنبلي (عبدالقادر محمد بن عبدالقادر الأنصاري ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، ج٢، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٤٤٦، ٤٤٧. أحمد السباعي: تاريخ مكة دراسات في السياسة وعلم الاجتماع والعمران، الجزء الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م، ص٣٤٤.

(٣) حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م١، أوراق شرقية، ط١ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص٣٤، ٣٥.

ولم يتوقف الأمر على العمارة فقط، بل لقد أوقف سلاطين المماليك الكثير من الأوقاف على الحرمين الشريفين وعلى فقرائهما، رغبةً منهم في القيام بكل ما يؤكد زعامتهم للدين الإسلامي، من بسط سيادة على الحجاز، فهذا شرف لا يضاهيه شرف أن يظهر هؤلاء السلاطين أمام العالم بصورة حامي الحرمين والمدافعين عن الحجاز(١).

وظيفة شاد العمائر(٢):

وهي إحدى الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان، وصاحبها مهمته التحدث في العمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار. وكان يشغل الوظيفة إمرة عشرة في أول الأمر ثم صار يشغلها قوم بغير إمرة، ويعاونه في ذلك مجموعة من العرفاء والمعلمين مع النحاتين والحجارين وغيرهم(٣).

---

(١) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨هـ-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) الشاد: اسم فاعل من شد بمعنى قوي أو أوثق، وقد شاع استخدام هذا اللفظ في دولة المماليك للدلالة على موظف كان له حق التقوية وما يتبع ذلك من سلطات السيطرة والمراقبة والإشراف والتفتيش والمعاونة والتوجيه والتعمير والاستثمار وغير ذلك، وربما قيل له المشد؛ واسم الوظيفة الشدّ، واختلف معنى الشد على مر العصور، غير أنه استخدم في العصر المملوكي للدلالة على وظائف مختلفة كانت تتحدد اختصاصاتها حسب نوع الشد الذي يتولاه الموظف حسن الباشا: الفنون، ج٢، ص٦٠٤: ٦٠٨.

(٣) ابن شاهين: زبدة كشف ، ص١١٥. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٦١٦، ٦١٨، عاصم محمد رزق: معجم =

وتدخل في اختصاصات شاد العمائر مراقبة ومتابعة المهندسين والحجارين والنجارين وصناع العمائر وما تحتاج إليه العمائر(١)، وعليه ألا يستخدم منصبه في سوء معاملة العمال والبناءين، فيجب عليه اللطف والرفق بهم، وأن يطعمهم بحسب ما يقع الشرط عليه، وأن يمكنهم من أداء الصلاة، فإن استعمل قوته في سُخرة العمال وظلمهم وأكل حقوقهم فهذا قبح منه وجرم وافتراء على خلق الله(٢) وللعمائر ديوان خاص بهم،

=

مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٥٧، ١٥٨ عبدالله عطية عبدالحافظ: معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام (من خلال ما ورد على عمائرهم في الوثائق والمصادر التاريخية)، دار النيل، القاهرة، ص ١٥٣، محمد إلياس عبدالغني/ ومعاوية إلياس عبدالغني: تاريخ مكة المكرمة المصور، مطابع الرشيد المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢م، ص١٥٧.

(١) محمد بن عيسي بن كنان (١٠٧٤-١١٥٣): حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١٣٦، الخالدي (شمس الدين محمد ت ٨٦٨هـ/١٤٦٤م): الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء للخالدي، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصار، ج١، ص٤٠١ مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩م /١٤٣٠هـ.

(٢) السبكي (أبونصر تاج الدين عبدالوهّاب بن على بن عبدالكافي ١٣٢٧- ١٣٧٠م/ ٧٢٧هـ- ٧٧١ هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، حققه وعلَّق عليه محمد على النجار، أبوزيد الشلبي، محمد أبوالعيون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص١٢٩.

يتعلق بالمهندسين وأرباب العمائر وبه ناظر ومباشرون[١].

وعن شاده العمائر في الفترة التي سبقت سودون المحمدي، فقد عهد سلاطين المماليك بإرسال شاده للعمائر للإشراف على عمارة المسجد الحرام، ففي عهد الناصر برقوق عهد إلى بيسق المالكي الظاهري[٢] لعمارة ما خرب من المسجد بسبب حريق سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م، الذي أصاب ثلث المسجد الحرام، فضلاً عما أصاب البلاد من سيل عظيم، وقد قدم مكة سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وأصلح ما فسد من الحريق والسيل وأنهى ذلك عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م، وقد عجب الناس من سرعة الانتهاء من العمارة؛ لأن ما حدث من ضرر إنما تتم عمارته في مدة لا تقل عن سنتين، وجعلت الأساطين[٣] كلها في الجانب الغربي

---

(١) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف ، ص١٠٩، ١١٠، الصوفي الشافعي (محمد بن أبي الفتح ت٩٥٠هـ/١٥٤٣م): الصفوة في وصف المملكة المصرية تحقيق: هبة محمد ياسين حجة، نابلس فلسطين٢٠١٤م، ص١٤١.

(٢) بيسق الشيخي أمير أخور الظاهري برقوق مات بالقدس بطالا في٨٢١هـ/١٤٢١م، وقد نفاه الناصر إلى بلاد الروم وفي عهد المؤيد شيخ نفاه إلى القدس، وكان كثير الشر شرس الخلق جَمَّاعا للمال مع البر والصدقة، يتآمر على الحجاج. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان المصري الشافعي ٨٣١ هـ -٩٠٢ هـ/ ١٤٢٧- ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٣، دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٣ (١١٤).

(٣) أساطين: مفردها أسطوانة وهي العمود والسارية أو قرص يسجل عليه الأغاني والأسطوانة في المصطلح الأثري المعماري هي العمود ذو البدن الدائري وهي =

والجانب الشامي من الحجارة المنحوتة عدا أساطين يسيرة في مقدمه فكانت من رخام مكسر ملصق بالحديد، ثم عاد بيسق الظاهري لعمارة سقف الجانب الغربي حيث افتقد في المرة السابقة الخشب اللازم لعمارته ولو وجد لأتمه قبل عام ٨٠٤هـ وقد جلب الخشب من الطائف إلى مكة، وكملت عمارته سنة ٨٠٧هـ /١٤٠٤م(١).

وفي عهد السلطان الأشرف برسباي تم إرسال الأمير زين الدين مقبل القديدي ٨٢٥هـ/١٤٢١م؛ لعمارة البيت الحرام حيث عمَّر أماكن كثيرة في المسجد الحرام منها إصلاح الروازن(٢) التي بسطح الكعبة

=

عبارة عن قطعة واحدة من الحجر والرخام. عاصم رزق: معجم مصطلحات، ص١٧.

(١) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٣٣، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٢٨، ابن ظهيرة (محمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المخزومي ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م): الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣م، ص١٨٢، النهرواني: الإعلام ، ص٢١٧، الصباغ: تحصيل المرام، ص٣٥٨، ص٣٦١، وصي عباس: المسجد الحرام، ص١٥.

(٢) الروازن: هي فتحات مربعة لإدخال النور إلى داخل الكعبة، على كل فتحة منها لوح من زجاج لينفذ منه النور ويمنع سقوط المطر، وهي موزعة منها روزنة حيال الركن الغربي والثانية حيال الركن اليماني، والثالثة حيال الركن الأسود، والرابعة حيال الأسطوانة الوسطى. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٣٠٤، ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص٣٢، ناصر خسرو(أبومعين الدين الحكيم القبادياني المروزي ٣٩٥-٤٨١هـ/١٠٠٤-١٠٨٨م): سفر نامة: ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبدالوهاب عزام، الهيئة العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٣م، ص١٤٨، محمد

=

ورخامه وميزابها، وأبدل الأخشاب المعدة لربط كسوة الكعبة وجعل فيها حلق الحديد، وكُسيت الكعبة الشريفة على العادة يوم النحر. وفي ٨٢٦هـ/١٤٢٢م عمَّر الأسطوانة الخشب التي أمام باب الكعبة، وعمَّر رخاماً كثيرًا بأرض الحجر، وعمَّر أماكن بين باب على[١] وباب العباس[٢]، وجدد أبواب المسجد الحرام وغير ذلك من الإصلاحات[٣].

=

طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج٤، دار خضر للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠/٢٠٠٠م، ص١٤٧.

(١) باب علي: وهو من الأبواب الشرقية للمسجد وعُرف قديماً بباب بني هاشم وبباب سوق الليل، إلا أن اسم على استقر عليه منذ القرن الخامس الهجري حتى التوسعة السعودية، وهو منفتح على ثلاثة أبواب. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٢٢، الفاكهي (أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي من علماء القرن الثالث الهجري): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبدالملك عبدالله بن دهيش، ج٢، دار خضر، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٩٨، ابن جبير: رحلة، ص٨٢، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٣.

(٢) باب العباس بن عبدالمطلب: وهو من أبواب المسجد الشرقية، وله ثلاث طيقان، وسُمي بذلك لأنه يقابل داره بالمسعى، وهو من الأبواب التي كانت تُصلى فيه الجنائز. الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٢، ٣٩٢.

(٣) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٣٣، شفاء الغرام، ج١،ص٣٨٠،العقد الثمين، ص٨٤، ٨٥، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨٧، ٥٩٨، ٦٠٠، ج٤، تحقيق وتقديم عبدالكريم على باز ص١٧، ٣٢، ص٥٢، النهرواني: الإعلام ، ص٢٢٧، الصباغ: تحصيل المرام، ص٣٦١، ٣٦٢، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٩.

وفي عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م أرسل الأشرف برسباي شاهين العثماني[١] شاد الديوان[٢] بساحل جدة ومعه سعد الدين الشهير بابن المرة المصري[٣] مباشر الديوان[٤] لساحل جده ومعهما مراسيم لعمارة المسجد الحرام وترميمه وأقاما بالمسجد الحرام عدة إصلاحات منها بناء درجاً على أبواب المسجد؛ ليرد السيل عنه، وبيض المقامات الأربعة

(١) شاهين الجمالي (ناظر خاص) يوسف بن كاتب جكم، ولد تقريباً في سنة ثمان وثلاثين وقدم في سنة ثلاث وخمسين، وقد ترقى حتى وصل إلى شادية جدة وحمدت سيرته بالنسبة لغيره لعقله وفهمه، وله بالمدينة مآثر جميلة وقرب مع تجديد أماكن وأحياء أخرى وقضى معظم أوقاته بالعبادة والتلاوة وسماع الحديث وهو نادرة من أبناء جنسه حسنة من حسنات الوقت، أحبه أهل المدينة المنورة. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ٢٩٢ (١١٢٣).

(٢) شاد الديوان: هو المتولي وظيفة استخلاص ما يتقرر على الطوائف والأفراد من المعاملات المالية من حيث الصرف والتحصيل وهي الوظيفة التاسعة عشرة في سلك الوظائف العسكرية في الدولة المملوكية. حسن باشا: الفنون، ج٢، ص٦١١.

(٣) سعد الدين القبطي الناصري المعروف بابن المرة ولي ناظر الديوان المفرد في عهد برسباي، ثم صرف وولى ناظر بندر جدة، وحصل منها ثروة زائدة، وكان كريما، بل قل مسرفا، خير، وافتقر وآل أمره إلى سؤال الناس وتصدق عليه بالكفن وتوفي سنة ٨٤٤هـ. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص١٨٤، ١٨٥.

(٤) المباشر للديوان هو الموظف المكلف بإدارة العمل والإشراف على تنفيذه، وإجراء المبيعات والمشتريات الخاصة به، واستخدام عماله. حسن باشا: الفنون، ج٣، ص٩٨٢.

ومقام إبراهيم عليه السلام وأزالا التراب من المسجد وفرشاه بالحصى، وعُمرت ثمانية عقود بالجانب الشمالي مما يلي صحن المسجد الحرام(١).

ويتناول البحث فترة من عصر السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥هـ-٨٤١هـ/١٤٢٢م-١٤٣٧م) الذي أرسل سودون المحمدي(٢) ليشرف على عمارة المسجد الحرام اعتبارا من ٨٣٦هـ/١٤٣٢م وقام بدوره بعدة إصلاحات في الحرم المكي حتى عزل من منصبه بمكة(٣).

كما يتناول البحث فترة من عصر الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨م-١٤٥٣م) الذي وجه جلَّ اهتمامه إلى العناية بالمسجد الحرام والعناية بإصلاح ما تهدم وتجديد ما طمرت معالمه وقد ألقى بهذه المهمة في بداية حكمه سنة ٨٤٢هـ-١٤٣٨م، إلى سودون المحمدي الذي قام بإصلاحات أوسع من المرة السابقة، حتى تم عزله للمرة الثانية والأخيرة وبعدها عاد إلى القاهرة ومنها إلى دمشق حتى وفاته ٨٥٠هـ/١٤٤٦م.

---

(١) ابن فهد: إتحاف، ج٣، ص٦٣٧، ج٤، ص١٨، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٢، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٤٤٩، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد ، ص٢٦٣، ٢٦٥.

(٢) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٦، حققه ووضع حواشيه محمد محمد أمين، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٢١، ١٢٣. ترجمة ١١٣٣، السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص١٥٢، ١٥٣، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤، ص١٥، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ٩٣، ٩٤، الظاهري الحنفي (زين الدين عبدالباسط بن خليل بن شاهين ٨٤٤-٩٢٠هـ/١٤٤٠- ١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول القسم الرابع من الجزء الأول، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص٣٩١، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٢.

حياة سودون ونشأته:

هو سيف الدين بن عبدالله السيفي مملوك سودون المحمدي[١] الظاهري وعتيقه، وتسمى باسمه، فكان من ضمن مماليك الأمير سودون

(١) سودون بن عبدالله المحمدي الظاهري برقوق عرف بتلي المجنون كان من أعيان خاصيكة برقوق ثم ترقى في أيام الناصر فرج بن برقوق إلى أمير مائة ومقدم ألف، ثم حبس بالإسكندرية ٨٠٦هـ هو وجماعة معه ثم أفرج عنه الناصر فرج، واستقر في القاهرة في منصب الأخورية الكبرى، وظل على ذلك إلى أن خُلع الناصر واختفى وتولى أخوه المنصور عوضاً عنه، ولما ظهر الناصر فرج بن برقوق مرة أخري، منعه سودون ومن معه من الصعود إلى القلعة وقاتلوه، ولكنه انتصر عليهم، وأرسل سودون إلى الشام، فقبض عليه شيخ المحمودي وأودعه بسجن القلعة إلى أوائل ٨٠٩هـ، ففرَّ من السجن وحدث له بالشام محن ومجن، واتصل بشيخ المحمودي وصارت بينهما صحبة ولما مات الناصر بن برقوق فرَّ إلى دمشق واشتهر بثورته ضد الحاكم، وفي نهاية الأمر قبض عليه ثم، رجع سودون مع شيخ المحمودي إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ثم قبض عليه شيخ المحمودي وحبسه بالإسكندرية من ٨١٥هـ حتى قتل بها في المحرم ٨١٨هـ/١٤١٥م. ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، تحقيق محمد فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي القاهرة، ص٣٢٩ (١١٢٩)، المنهل الصافي ٦، ص١٢٠، ١٢١، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٦٠، ٢٨٠، ، ابن الصيرفي (علي بن داوود الخطيب الجوهري المعروف ٨١٩-٩٠٠هـ/١٤١٦-١٤٩٤م):: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج٢ تحقيق وتعليق حسن الحبشي، دار الكتب١٩٧٢، ص٣٦٠ (٥٣٤)، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٥ (١٠٨٣).

المعروف بتلي المجنون[١] وظل في خدمته حتى قبض المؤيد شيخ المحمودي على أستاذه وحبسه بثغر الإسكندرية، فانتقل سودون إلى خدمة المؤيد شيخ المحمودي، الذي عطف عليه وعلى غيره من المماليك السيفية[٢] حيث أكثر المؤيد شيخ المحمودي من استخدامهم وكان يقول عنهم: "هؤلاء قاسوا خطوب الدهر، وتأدبوا ومارسوا الوقائع والأمور "فانضم سودون ومن معه في جملة المماليك السلطانية، ولا يخفى ما للمماليك السلطانية من مكانة ومنزلة عند السلاطين فهم كما قال القلقشندي[٣] عنهم: بأنهم "أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً، وأشدهم إلى السلطان قرباً، وأوفرهم إقطاعاً" ومن المماليك السلطانية كانت تختار طبقة الأمراء وترقى رتبة بعد رتبة، ويختلف عددهم حسب رغبة السلطان. وقد كان لطائفة المماليك السلطانية بديوان الجيش سجل خاص اسمه جريدة أرباب النفوذ، تضم أسماء المماليك ومخصصاتهم من

---

(١) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص١٢١، السخاوي: التبر المسبوك، ص١٥٢.

(٢) الأمراء السيفية وهم المنسوبون إلى الأمراء مقدمي ألوف، الذين أسقطت عنهم الإمارة بسبب الوفاة أو القتل أو السجن وقد نقلوا إلى الديوان الشريف بسب القبض على سيدهم ونفيهم أو غير ذلك من الأسباب ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢٥٩، ابن شاهين: زبدة كشف المماليك، ص١١٣، إبراهيم على طرخان: النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص١٥٠.

(٣) صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.

الرواتب في كل سنة بمقتضى مناشيرهم(١)، وتُنسب المماليك السلطانية إلى الملك القائم وإن لم تكن من مشتراه على وجه الإطلاق، ويتميزون في التفصيل بتجارهم أو معتقيهم(٢)، وتختلف رواتبهم الجارية حسب قربهم من السلطان(٣)، ولهم من الخيول عطايا تفرق عليهم(٤).

تدرج سودون المحمدي في الوظائف:

أولاً: خاصكيا:

ظل سودون المحمدي خامل الذكر حتى جاء عصر السلطان برسباي حيث ترقى في الوظائف وأول صعوده للسلم بأن صار خاصكيا(٥)

---

(١) محمود نديم أحمد فهيم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري ٦٤٨-٧٨٣هـ /١٢٥٠-١٣٨٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص٩٤.

(٢) الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٦.

(٣) القلقشندي: صبح، الأعشى، ج٤، ص٥١.

(٤) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي٧٦٤ -٨٤٥هـ/١٣٦٤-١٤٤٢م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، المجلد الثالث /٢، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥، ص٧٠٢.

(٥) الخاصكي: لفظ خاصكي مؤلف من كلمة خاص العربية ومن اللاحقة الفارسية "ك" للتصغير ومن حرف الزيادة "ي" الذي يزاد في الفارسية للدلالة على اسم الوحدة أو الإفراد وهي تقوم مقام التنوين في العربية وتجمع على خاصيكية، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغارا وربَّاهم تربية إسلامية وعلمهم الفروسية، يختارهم السلطان ليلحقهم بخدمته ويختص بهم لصفات فيهم كجمال الخلقة وطول القامة، فيتدرجون في الوظائف =

وأصبح لسودون مكانة لم تكن له قبل ذلك، إذا صار من الخاصة الذين من حقهم الدخول على السلطان في أوقات فراغه وبغير إذن، وصار من حقه الحضور في كل طرفي النهار وخدمة الإسطبل، كما كان من حقه ركوب ما يركبه السلطان ليلاً ونهارًا، وأصبح من الملازمين للسلطان لا يتخلف عنه لا في قرب ولا بعد(١).

وقد تميزت طبقة الخاصكية بعدة مميزات منها، حمل السيف ولباسهم المزركش المطرز في الخدمة الذي كان مقصوراً عليهم دون غيرهم. وكانت طبقة الخاصكية لقربهم من السلطان تسند إليهم مهام شريفة فهم المتقربون في المملكة والمتعينون للإمرة، ومن هذه المهام، سوق المحمل الشريف، وعليهم إحضار كوامل الكفال(٢)، وقد زاد عدد

=

قبل تأميرهم ويجعلهم في حرسه الخاص، وقد أطلق على طبقة الخاصكية المماليك الجوانية. المقريزي: المواعظ، م٣ /٢، ص٦٩٤، أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف ١٩٧٩م، ٨١ حسن باشا: الفنون، ج١، ص٤٦٢، السيد الباز العريني: المماليك، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ص١٣٤، فتحي سالم حميد اللهيبي/ فائز على بخيت الحديدي: جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي تفسير جديد، جامعة الموصل، ٢٠١٤م /١٤٣٥هـ، ص١٩، رينهارت دوزي: تكملة المعاجم العربية، المجلد الرابع، نقله إلى العربية وعلَّق عليه محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ص٩.

(١) الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٦.

(٢) كوامل الكفالة: واحدتها كاملية، وهي ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء، به فتحة من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل ويبطن بفرو سمور وتعمل له قلابات

=

هذه الطبقة في عهد الأشرف برسباي حتى بلغت الألف وخصصت لها العطايا الجزيلة والأرزاق الواسعة(١).

وتنوعت هيئة جلوس الخاصكية فإذا كان السلطان يجلس في دار العدل لخلاص المظالم، كانوا يقفون وراء السلطان هم وغيرهم عن يمينه ويساره(٢)، وأثناء تواجدهم بالخدمة لا يستطيع أحد منهم أن يتحرك من مكانه ولا يحدِّث زميله بأي كلمة في أي أمر من الأمور ويحرم عليهم الاجتماع معا في الرحلات أو الصيد وإذا حدث ذلك يقبض على الخاصكي أو ينفي(٣).

ثانياً: وظيفة رأس نوبة الجمدارية:

ولم تقتصر مكانة سودون على كونه من خاصة السلطان الأشرف برسباي، بل صار من الخاصكية أصحاب الوظائف(٤) حيث تولي رأس نوبة(٥)

=

من فرو السمور فيقال كاملية بفرو سمور بمقلب سمور. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٦٣.

(١) الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٦، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١١٥، ١١٦. سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ص٤٣٢، ٤٣٣، دهمان: معجم الألفاظ، ص٦٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٤.

(٣) محمود نديم: الفن الحربي ص ٩٧.

(٤) ابن شاهين: زبدة كشف ، ص ١١٦.

(٥) رأس النوبة: المراد بالرأس هنا الأعلى أخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاه، والنوبة واحدة النوب وهي المرة بعد الأخرى، وهي وظيفة عظيمة عند التتار، ويفخمون فيها السين وقد أحدثها الظاهر بيبرس بمملكة مصر وقد جرت العادة أن يكونوا =

الجمدارية[١] مدة طويلة.

ومهمة رأس النوبة هي الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم وتنفيذ أمره فيهم، وله أتباع يعاونوه[٢] والغرض منها تنظيم الحراسة[٣] ويجلس إلى جانب السلطان في رأس الميسرة، وهذه الوظيفة

=

أربعة أمراء: واحد مقدم ألف وثلاثة طلبخانة، وهو السفير بينهم وبين الملك في الشور وبلوغ المقاصد، وهو أول من يدخل على الملك في الخدمة والقائم على مسك من يؤمر بمسكه. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨، ج٥، ص٤٥٥، السيوطي (عبدالرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، ٨٤٩١هـ/١٤٤٥م-٩١١ هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١ ١٩٦٨م/١٣٨٧هـ، ص١٣٣.

(١) الجَمَداريَّة: وهو لفظ فارسي أصله جاما دار، حذفت الألف بعد الميم والجيم تخفيفا وهي مركبة من جام بمعني لباس ودار من داشتن أي ممسك ومعناها ممسك الثياب وهو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وفي الفارسية تعني الشخص الذي يحافظ على ثياب المنزل، وهو أيضاً عامل يحفظ ملابس الناس في الحمام ولها تفسير آخر: بأنها الشخص الذي يحمل المرآة أمام الملك ليلبس ثيابه وأكثر ما يكونوا صبيانا ملاحا مردا. السبكي: معيد النعم، ص٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ١٣٣٣ هـ/١٩١٥م ص٤٥٩، الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٩٢ /٣٩٣.

(٢) الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٩٢ /٣٩٣.

(٣) طرخان: النظم الإقطاعية، ص٢١٢.

تبطل أحياناً وتعمل أحياناً، ثم بطلت[١]، وكانت العادة أن يبيت عند السلطان خواص مماليكه من الأمراء وأرباب الوظائف من الجمدارية وغيرهم؛ مهمتهم السهر عند السلطان بالنوبة بينهم، كلما انقضت نوبة قوم، أيقظوا أصحابهم الذين يلونهم، وكل منهم يلزم ما يشغله عن النوم، فمنهم من يقرأ في المصحف، ومنهم من يأكل ومنهم من يلعب الشطرنج[٢]. والجمدارية دون الخاصكية في الرتبة والخدمة ولم يزالوا ملزمين على الوقوف في الخدمة لامتثال ما يأتمرون به[٣].

ثالثاً: إمرة عشرة:

وعُرض على سودون إمرة عشرة في عهد برسباي فامتنع من قبولها وظل من جملة المماليك السلطانية على إقطاعه وكانت إقطاعات الأمراء تبلغ في بعض الأحيان تسعة آلاف دينار وربما نقصت عن ذلك[٤] حتى توفي برسباي ثم انضم لولده الملك العزيز ٨٤١هـ/١٤٣٨م[٥] وعندما خرج جقمق على الملك

(١) محمد بن عيسي: حدائق الياسمين، ص١١٤، ١١٥.

(٢) السبكي: معيد النعم، ص٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٤٩.

(٣) الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ص٥٠، وقد ذكر المقريزي أنها تبلغ سبعة إلى ما دونها. المواعظ، م٣، ص٧٠١، الخالدي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٥.

(٥) جمال الدين يوسف العزيز بن برسباي الدقماقي وهو التاسع من ملوك الجراكسة نودي به سلطاناً بعد أبيه ٨٤١هـ/١٤٣٨م وقد بلغ أربعة عشر عاماً وصار مدبر مملكته الأمير جقمق العلائي وتسلطن عدة أشهر ولم يكن له سوى الاسم، ثم صار =

العزيز ظل سودون يؤيد ابن أستاذه ويدعمه وأسرها الظاهر جقمق في نفسه وحقد عليه، فلما اعتلى دست السلطنة قام بنفيه خارج مصر رغم المصاهرة التي بينهما حيث كان سودن زوج أخت خَوند[١] مُغل البارزية[٢] لأبيها

=

الأمر إلى جقمق الذي وهو العاشر من ملوك الجراكسة وظل العزيز معتقلاً بالإسكندرية بعد هروبه من دور الحرم حتى كان عهد الظاهر خشقدم الذي أعتق من سجنه في البرج في ٨٦٥هـ/١٤٦٠م وسمح له بالسكني في الإسكندرية على ألا يخرج منها حتى وفاته ٨٦٨هـ/١٤٦٣م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١٢، ص٢٠٢، ٢١٠ (٢٧٠٣)، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤، أحداث سنة ٨٤١، ٨٤٢، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٤.

(١) خوند لفظ فارسي عرفته اللغة التركية، وأصله خُداوند ومعناه السيد أو الأمير ويخاطب به الذكور والإناث، وقد غلب استعماله في العالم الإسلامي كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة، وقد يرد معربا فتلحق به أداة التعريف (أل) أو تضاف إليه تاء التأنيث في حالة استعماله لمؤنث، وقد استعمل في عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء التي تتفرع من الأصول المؤنثة تأنيثاً حقيقيًا، وفي العادة تكون الخواندات أربعاً، ولا يطلق هذا اللفظ إلا إذا كانت زوجة السلطان ولهم أبهة وترتيب وناموس وخدمة وسعة من المال والقماش. الصوفي الشافعي: الصفوة، ص١٦٢، حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٨٠.

(٢) الخَوَند مُغل ابنة محمد محمد بن عثمان خوند الكبرى ابنة القاضي ناصر الدين البارزي وأخت الكمالي محمد مقرُّ السلطان جقمق وكاتب سره ولدت في رمضان ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، تزوجها الشهاب محمود وتوفي قبل أن يدخل بها ثم تزوجها علم الدين داود بن الكويز، ثم تزوجها الظاهر جقمق وكانت لها منزلتها عنده حتى تسلطن فتركها، وولدت له خديجة وغيرها واستمرت رياستها وجلالتها وكانت

=

القاضي البارزي[١] ثم عفى عنه بعد عدة أشهر وأعطاه إمرة عشرة بسفارة خوند مغل البارزية وإمرة عشرة رتبتها في مدرج الرتب العسكرية الإقطاعية في جيش المماليك دون إمرة الطلبخاناة، وتقضي هذه الإمرة على صاحبها بإقامة عشرة مماليك تحت تصرفه وربما زاد العدد إلى العشرين ويقال لصاحبها أمير عشرين، ولكنه يظل في رتبة أمير عشرة[٢] ولأمراء العشرة على السلطان الرواتب الجارية في كل يوم من اللحم وتوابله كلها والخبز

=

خيرة محبة للصالحين والفقراء كثيرة البر والصدقات، حجت أكثر من مرة وكانت من نوادر الخواندات ويضرب بها المثل ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٩٤، ١٢٨، ص٢٩٢، ٢٩٣، السخاوي: الضوء اللامع، ج١٢، ص٣٢ (٢٨٩١)، الظاهري الحنفي: نيل الأمل، القسم السابع من الجزء الثاني، ص١٢٦ (٧٧٦).

(١) البارزي هو محمد بن محمد بن عثمان بن محمد عبدالرحيم إبراهيم بن المسلم هبة الله ناصر الدين أبوعبدالله بن الكمال بن الفخر الكمال الجهني والد الكمال محمد والشهاب أحمد ويعرف كسلفه بابن البارزي، ولد ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، مات أبوه وهو صغير حفظ القرآن والحاوي وشغل عدة مناصب، ولكن سعده الأكبر كان في عهد المؤيد شيخ حيث صار المؤيد لا يخرج عن رأيه، وأصاب أموالاً كثيرة، ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م ودفن بجوار قبر الإمام الشافعي، وكان رحمه الله ذكيّاً مع بعد عهده بالمطالعة، فقد كان يستحضر من محفوظاته الفقهية والأدبية التي حفظها من سنين ولا يتلعثم فيها. السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص١٣٧ (٣٥٠).

(٢) المقريزي: المواعظ، م٣، ص٧٠٠. طرخان: النظم الإقطاعية، ص١٦١.

والشعير لعليق الخيل والزيت وغير ذلك[١] وكان متولي الإمارة يتولاها بمنشور مفتتح بلفظ أما بعد وحمدًا لله والثناء عليه وما اتسم به من الشجاعة وما استحق من الثناء لتوليه هذا المنصب[٢] وتصدر المكاتبات إليه بلقب مجلس الأمير، فإن زيد في قدر أحدهم لسبب ما، كتب له المجلس السامي بغير ياء، كما يخاطبون بالمجلس العالي[٣].

رابعاً: نيابة[٤] قلعة دمشق[٥]:

ونيابة قلعة دمشق من الوظائف المهمة ضمن التنظيمات الإدارية والسياسية والعسكرية المملوكية في بلاد الشام، إذا كان القائم بها

(١) المقريزي: المواعظ، م٣، ص٧٠١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص١١٨٩، ١٩٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٧، ص١٥٩، ج١٢، ص٢٨٦.

(٤) النيابة: يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويُعلِم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك وله سلطات واسعة. انظر السبكي: معيد النعم، ص٢١، ٢٤، القلقشندي: صبح الأعشي، ج٤، ص١٦، ١٧.

(٥) قلعة دمشق: تقع في الجانب الغربي من دمشق، وهي قلعة حسنة تحيط بها أسوار عالية, ويقع في الميدان القبلي منها القصر الأبلق وهو بناء غريب بإحكام عجيب بناه الظاهر بيبرس البندقداري. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج٣، تحقيق كامل سلمان الجبوري النجم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص٣٥٦، ٣٥٨.

مستقلاً عن نيابة السلطنة بدمشق[١] ومن عادة من يتولى النيابة أن يكون مقدم ألف[٢]، ثم استقرت بعد ذلك على رتبة طلبخاناه وهي على ذلك الآن في عصر القلقشندي ولم تذكر المصادر أن سودون ترقى إلى رتبة مقدم ألف أو طلبخاناه ولكن يتضح من خلال ذلك، أنه تولاها بسبب علاقة المصاهرة بينه وبين الظاهر جقمق.

ففي شهر ربيع الآخر سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م خلع السلطان على سودون نيابة قلعة دمشق بعد نقل الأمير جانبك الناصري[٣] دوادار برسباي الحاجب منها إلى حجوبية الحجاب بدمشق،بعد موت الأمير سودون[٤]

---

(١) كامل أسود قادر: دور الكرد الحضاري في مصر وبلاد الشام خلال عهد دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، مطبوعات الأكاديمية الكوردية، العدد (٢٦٧)، آربيل ٢٠١٤م،ص٤٠.

(٢) مقدم ألف: وهم طبقة من طبقات أرباب السيوف وهي طبقة أمراء المئين مقدمو الألوف وهي أعلى مراتب الأمراء على تقارب درجاتهم ومنهم يكونون أكابر أرباب الوظائف والنواب، وعدة كل منهم مائة فارس وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤.

(٣) جانبك الناصري فرج، خدم بعده عند خجداشية برسباي الناصري حاجب دمشق، وفي عهد الظاهر جقمق أنعم عليه بإمرة طلبخاناة بدمشق ثم صار حاجباً ثانياً بها ثم تنقل حتى ناب بصفد ثم بحماة ثم بطرابلس حتى مات بها سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م،. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٦١(٢٤٦).

(٤) سودون النوروزي تنقل بعد سيده إلى أن صار في عهد برسباي دوادار بحلب وأحد المقدمين بها، ثم نقله الظاهر لحجوبية دمشق الكبرى، وقدم عليه بتقادم هائل، ثم رجع وعظم ونالته السعادة الدنيوية حتى مات بها في سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣ ص٢٨٧(١٠٨٨).

النوروزي[١].

ولأهمية قلعة دمشق فإن نائبها كان يحفظها للسلطان عندما ينزل دمشق؛ إذ بها تخت الملك كغيرها من ديار الملك، وليس لنائب السلطنة في دمشق عليه ولاية، بل يتولى وظيفته بمرسوم من الأبواب السلطانية يكتب من ديوان الإنشاء بمصر ويكتب له "مرسوم شريف بأن يستقر في المجلس العالي أو السامي الأميري، فلان ويدعي له بما يناسبه في النيابة بالقلعة المنصورة بدمشق المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه"[٢].

ومعروف من يتولى أي وظيفة كان عليه أن يؤدي اليمين، ويضاف لمن يتولى منصب نائب قلعة في يمينه (وإني أجمع رجال هذه القلعة ويسميها أي القلعة على طاعة مولانا السلطان ويسميه وخدمته في حفظ القلعة وحمايتها)[٣] ولنائبها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته[٤] والمتبع أن يكتب له في مرسومه عن الكشف عن حال القلعة وأسوارها ويرتب الرجال في منازلهم ويحتفظ بمفاتيحها على العادة، ويحصل ما يحتاج إليها من الملح والحطب والفحم وغير ذلك، ومعرفة متجددات الأخبار[٥].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٢٠.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص١٠٨، ١٠٩، ويكتب له ذلك في قطع النصف بقلم خفيف الثلث.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٠٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص٩٣، ٩٤، ١٨٤، ١٨٥.٥، ج١٢، ص٢٦.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٩٩.

ومن مهمات نائب القلعة، حفظها وعمارة ما دعت الحاجة إليه، والعمل على تحصين هذا المكان المنيع، وإدامة العسس ومعرفة أخبار الجيران من الأعداء وغير ذلك مما يلزم معه الحيطة والحذر(١) ولقلعة دمشق أهمية جليلة قد أفاض القلقشندي(٢) في وصفها ومكانتها. ولم يتأمر سودون المحمدي بمصر فقد رفض ذلك في عهد الأشرف برسباي، وتوفي سنة ٨٥٠م /١٤٤٦م(٣).

وكان رحمه الله "ديناً عاقلاً ساكناً، عفيفاً عن المنكرات والفروج، إلا أنه كان قليل المعرفة كثير الظن برأي نفسه، مع استبداده برأي نفسه"(٤) وقد جاء في التبر المسبوك(٥) نقلا عن العيني ا: "وكان ديناً جيداً زاد غيره متعاظماً سامحه الله" وكان يقع في أمور محذورة منها: أنه كان إذا سلَّم عليه شخص لا يرد سلامه، تكبراً وتعاظماً، وإذا رد فيرد رداً هيناً خلاف السنة، فضلاً عن ظلمه الواقع منه على خدمه وحواشيه مع انخفاض قدره(٦).

---

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف، ص١٣٢، ١٣٣، محمد بن عيسى: حدائق الياسمين، ص١٢٧، ١٢٨.

(٢) صبح الأعشى، ج١٢، ص٢٦.

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج١، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٥، ١٤٥، المنهل الصافي، ج٦، ص١٢١، ١٢٢، الظاهري الحنفي: نيل الأمل، القسم الخامس من الجزء الثاني (٨٤١ -٨٦١ هـ)، ص١٨٨.

(٤) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٦، ص١٢١، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٦.

(٥) السخاوي : ص١٥٣.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٤٧.

تولية سودون المحمدي شاد العمارة:

تولى سودون المحمدي وظيفة شاد العمائر بمكة فترتين إحداهما في عصر الأشرف برسباي في الفترة من سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م والأخرى في بداية عصر الظاهر جقمق.

الفترة الأولى في عهد الأشرف برسباي:

بعث السلطان برسباي إلى مكة شادة للعمائر منهم الأمير سودون المحمدي، فأصاب بها إصلاحات عدة منها:

أولاً: تجديد مقام السادة الحنفية(١):

ويقع المقام الحنفي بين الركنين الشامي والغربي(٢) وهو مقابل الجدار الشامي من الكعبة المشرفة وقد ناله تجديد قبل ذلك في سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وانتهى العمل منه سنة ٨٠٢هـ /١٣٩٩م على يد الأمير بيسق الظاهري حيث كانت عمارته عبارة عن أربع أساطين من حجارة منحوتة عليها سقف مدهون مزخرف، وأعلى السقف مطلي بالنورة(٣) وبين الأسطوانتين اللتين في المقدمة محراب

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، م، ص٤٠١.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٠٢.

(٣) النورة: هي عجين من الجير المخلوط بالماء ونسبة من الزرنيخ، يحرق ويصنع من الكلس، ويوجد في مكة جبل يقال له جبل النورة يستخرج منه الحجارة الكلسية التي تستخدم في طلاء الجدران. عاصم رزق: معجم مصطلحات، ص٣١٦. محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية =

مرخم[١] وهو بهذه الحالة من الفخامة والروعة ما لا يوصف، الأمر الذي أثار غضب المشايخ وأنكروا عمله على هذه الصفة، خاصة علماء المذهب الشافعي ومنهم الفارسكوري زين الدين[٢] بل إنه في سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، أفتي شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني وابنه[٣]

=

٦٤٨-٩٢٣هـ /١٢٥٠-١٥١٧م، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ص١٢٠.

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٠١، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٢٤، الطبري: الأرج المسكي، ص١٧١، ١٧٢.

(٢) الفارسكوري: عبدالرحمن بن على بن خلف أبوالمعالي فقيه مصري (٧٥٥هـ-٨٠٨/ ١٣٥٤-١٤٠٦م) انظر ترجمته ابن قاضي شهبه (أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ٧٧٩-٨٥١هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٨م): طبقات الشافعية، ج٤، عني بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه الحافظ عبدالعليم خان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند، الغزي العامري الشافعي (الإمام رضي الدين أبي البركات محمد بن أحمد بن عبدالله ت ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م): بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، ضبط النص وعلَّق عليه أبويحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٩٢، (٧٢٩)، الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٣، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة عشرة مايو ٢٠٠٢م، ص٣١٨.

(٣) شيخ الإسلام عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبدالخالق بن عبدالحق الفقيه المحدث الحافظ المفسر ٧٢٤-٨٠٥هـ. ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، ج٤، ص٤٢ (٧٣٧)، السخاوي: الضوء، ج٦، ص٨٥(٢٨٦) وابنه هو شيخ

=

بهدمه وتعزير من جوز بناءه على هذه الصفة؛ لكثرة شغله الأرض بالبناء، وقلة الانتفاع منه في الليالي الحارة إلا بمشقة، وما يتوقع من سترته لأهل اللهو وقد رسم ولي الأمر في مصر بهدمه ولكن توقف الأمر بسبب معارضة آخرين(١) وعلى النقيض من ذلك أفتى بعض علماء الحنفية بجواز بنائه وإبقائه على هذه الحالة من باب التمكين لإقامة الصلاة وأن فيه مصلحة عظيمة لأهل المسجد(٢).

وقد قام الأمير سودون المحمدي بكشف المقام الحنفي ووضع عليه قبة من خشب زان مطلاة بالجبس مبيضة، تظهر من أعلى وليس لها في الداخل بروز سوي دوائر، وزاد في بنائه شيئاً لم يكن موجودًا فيه ولا في غيره من المقامات، حيث فرش أرضه بحجارة الماء وهي حجارة حمراء أو صفراء تستخدم في سن السكاكين والسيوف وغيرها معروفة عند أهل مكة، يؤتي بها من جهة الحديبية منحوتة ويزداد الحجر صلابة بوضعه في الماء ويُسمى الحجر الشميسي(٣) وهذا البساط مستقل

=

الإسلام جلال الدين عبدالرحمن انظر ترجمته في. السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص١٠٦ (٣٠١).

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٠١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد ، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) ابن الضياء (محمد بن أحمد محمد القرشي العمري المكي الحنفي بهاء الدين أبو البقاء ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص٩٨.

(٣) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٤٩.

عن الأرض وله إزار[١] مرتفع عنه من الحجارة الصلبة شديدة السواد المنحوتة تدور على المقام من الجوانب الثلاثة؛ لأن الجانب القبلي فيه جدار المحراب ولعل اهتمام الدولة كان منصرف إلى المقام الحنفي؛ لأن أكثر أتباع الدولة من الأتراك كانوا على المذهب الحنفي وقد نال المقام تجديدات عدة بعد ذلك[٢].

ولم تقتصر التجديدات على المقام الحنفي ففي سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م عمرت المقامات الثلاثة الشافعية والمالكية والحنبلية؛ رغبة في إرضاء باقي المذاهب ولكن التجديد كان أقل من تجديد المقام الحنفي إذ كان على هيئة أسطوانتين من حجارة عليهما عقد مشرف من أعلاه، وفي العقد خشبة بها خطاطيف للقناديل وما بين الأسطوانتين مقام الشافعي لا بناء فيه، وما بينهما من مقام المالكي والحنبلي مبني بحجارة

---

(١) إزار: يستخدم في العمارة المملوكية للدلالة على شريط من ألواح رقيقة من الخشب عادة أسفل السقف مباشرة بأعلى الجدار بقوائم خشبية توضع بين المداميك بشكل رأسي على مسافات متساوية في الأركان، ويزخرف بزخارف مع وجود آيات قرآنيه تبدأ بالبسملة، وغالبا ما ينتهي النص بتاريخ الإنشاء. محمد أمين: المصطلحات، ص١٢.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٦٧، ٦٨، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٢، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله دهيش، ط١، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م، ص٧٦٢، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٨٧، الطبري: الأرج المسكي، ص١٧١، ١٧٢، الميموني (إبراهيم بن محمد عيسي المصري الشافعي ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م): تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام، مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض، ص١٥١، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد ،ص٢٣٧.

مبيضة، وفي وسط هذا البناء محراب[١]. على أن عمارة المقامات في البلد الحرام قد أثارت غضب الفقهاء ومنهم الشوكاني[٢] الذي قال: "بأن عمارة المقامات بدعة بإجماع المسلمين أحدثها شر ملوك الشراكسة فرج بن برقوق في أوائل المائة التاسعة من الهجرة "ولكن الناصر فرج هو من جددها وليس من أحدثها. ووضع العلماء مؤلفات عدة مستنكرين فيها بناء المقامات[٣].

ثانياً: إصلاح سقف الكعبة:

من المهمات التي أسندت إلى سودون إصلاح سقف الكعبة، إذ حدث خراب شديد في سقف الكعبة؛ فبحكم طبيعة مكة الجغرافية الواقعة في وادٍ تحف به الجبال من كل صوب[٤]، فإذا نزلت الأمطار بشدة تجمعت في داخل مكة وتدخل المسجد الحرام فتصيب به أضرارًا جسيمة[٥] وهذا ما حدث في جمادى الأولى يوم الخميس عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م أمطرت

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٤٠١، ابن فهد: إتحاف الورى، ج ٣، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

(٢) الشوكاني (شيخ الإسلام محمد بن على بن محمد١١٧٣-١٢٥٥هـ/١٧٥٩-١٨٣٩م): إرشاد السائل إلى دلائل المسائل وشرح الصدور في تحريم رفع القبور ورفع الريبة عن ما لا يجوز من الغيبة والدواء العاجل في دفع العدو الصائل، طبعه وصححه وراجعه جماعة من المؤمنين الموحدين، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ص٥٠.

(٣) وصي بن عباس: المسجد الحرام، ص١٧٨.

(٤) أبوالفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، دار صادر بيروت، ١٨٤٠م، ص٨٧.

(٥) الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٢٤٢.

السماء مطراً غزيراً في مكة المكرمة سالت منه الأودية، حيث جاء سيل وادي إبراهيم عليه السلام[١] مع سيل وادي أجياد[٢] عند باب الحزورة ودخل المسجد الحرام وبلغ علوه باب الكعبة الشريفة بمحاذاة عتبة الباب الشريف ونتج عن ذلك أن رشح سقف الكعبة وابتلت الكسوة التي بداخلها وامتلأت القناديل بالمياه ومات بعض الناس وخرب السيل نحو ألف دار، فلما أصبح الناس يوم الجمعة أزالوا عتبة باب إبراهيم[٣] حتى خرج الماء ولكن بقي طين في المسجد قدر نصف ذراع في ارتفاعه، فوكل أمره إلى مجموعة من التجار، ولم يتوقف الأمر على السيل بل أعقبه وباء قادم من المدينة المنورة[٤] وقد عبَّر الشعراء عن ما ألم بمكة

---

(١) وادي إبراهيم عليه السلام: هو وادي مكة المكرمة وعلي الوادي قرابة عشرين حيّاً من أحيائها وتصب عليه أودية وشعاب تجعله سيلاً عرماً كثيراً ما يدخل المسجد الحرام ويخربه ويموت أناس جراء ذلك. عاتق غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، دار مكة للتوزيع، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٣٧.

(٢) وادي أجياد: سُميت بهذا الاسم نسبة إلى ربط الخيل به وهو أجيادان: أجياد الكبير وأجياد الصغير، وعرفه الخوارزمي بأنه: موضع بمكة يلي الصفا. معجم البلادي: ص٥٩، ٦١.

(٣) باب إبراهيم: ونسبة إبراهيم إليه ليس إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، بل إلى خياط كان موجودًا على هذا الباب يسمي إبراهيم الخوزي من الأعاجم، أو أنه كان يدعى إبراهيم الأصفهاني وكان خياطًا عند الباب فطال عمره فنسب إليه الباب، وهو الباب الغربي للمسجد الحرام. ناصر خسرو: سفر نامة، ص١٣٨، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٤، النهرواني: الإعلام، ص١٩٢، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٣.

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٦٩، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ص٢٧٨، ٢٧٩، الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٢٤٨.

من حوادث ومن ذلك قول المناوي[١]:

أتي بمكة سيل قد أضر بها	**فأغرق الناس ليلا وهو يغشاهم**
فعند هذا لسان الحال أخبرنا	**هذا جزاؤهم مما خطاياهم[٢].**

وقد أوكل الأشرف برسباي تعمير ما خرب من المسجد الحرام إلى ما سودون المحمدي وهو أول تركي تصدر إليه أوامر سلطانية بهدم سقف الكعبة[٣] ولم تكن مهمة العمارة هي المسندة إليه فقط ففي شهر ربيع الأول٨٣٧هـ/١٤٣٣م أسند إليه بجانب مهمة شاد العمائر وظيفة نظارة[٤] المسجد الحرام وصارت له سلطات أوسع من ذي قبل، فاتسعت

---

(١) المناوي هو على بن محمد بن نجم الدين محمد بن عبدالمغيث العوفي المصري المناوي الدلال نزيل مكة وبها توفي ٨٤٣هـ /١٤٣٩م. ابن فهد: الدر الكمين، ج٣، ص١٠٧٩ (١٠٦٥).

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٧٠.

(٣) الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٢.

(٤) النظارة: كان الناظر في عصر المماليك موظفاً من كتاب الأموال يرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمله، فيمضي ما مضى ويرد ما يرد، ويقوم بتنفيذ تصرفات الأموال وكان هذا الناظر يعين في الدواوين والإدارات الحكومية المختلفة، كما عرفت في الدولة المملوكية وظيفة ناظر في بعض المؤسسات التي يجرى فيها بعض المعاملات المادية مثل البيمارستانات والجوامع والمشاهد وغيرها. ومهمته التحدث في أمور خاصة بها بإباحة ضروراتها، وعمل مصالحها، واستخراج متحصل جهاتها وصرفه على الوجه الصحيح، ومن هؤلاء ناظر الحرم الشريف وناظر الحرمين. القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا، عُني بطبعه وتصحيحه ومقابلته على أصله: =

مهامه لتشمل تعهد أوقاف المسجد الحرام وإطعام الظاعن والمقيم وتعهد أرباب الخدم بما يلزم كلٌ منه عمله وغير ذلك[١].

وسبب ذلك أن أحد التجار الأعاجم المجاورين ويُسمى داود الكيلاني[٢] قد بذل مالاً للسلطان مقابل توليته نظارة المسجد الحرام ولم يكن الأمر عسيرًا في عصر ساد فيه البذل والرشوة، حتى ساءت أحوال الرعية وانتشر الظلم والمكس وبالفعل نجحت مساعي العجمي في ذلك، وتم عزل القاضي الشافعي جلال الدين أبوالسعادات بن ظهيرة[٣] وتولية الكيلاني، مع أن نظارة الحرم من وظائف مشيخة المقامات والمؤسسات الدينية، حيث العلماء والشيوخ أصحاب المكانة الدينية والعلمية الذين

=

محمود سلامة، الطبعة الأولى، ١٩٠٦م، ص٣٤٧، القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص٤٦٥، حسن الباشا: الفنون، ج٣، ص١١٧٧، ص١١٩٩.

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف، ص١٤٦، ١٤٧.

(٢) داود بن على بن شرف الدين الكيلاني التاجر الخواجا كان من الوجهاء، عين شاد لجدة في ٨٣٥هـ/١٤٣١م توفي وعمره سبعون عاما بالطاعون في الإسكندرية سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٢١٤ (٨٠٠).

(٣) محمد بن محمد بن الحسين على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن أبي البركات بن أبي السعود المخزومي المكي الفقيه الشافعي قاضي مكة، ولد ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، تفقه على الجمال بن ظهيرة وتخرج به، وقرأ الأصول وبرع في الفقه وله مؤلفات كثيرة، تولى الإفتاء والحسبة والخطابة والنظارة بالمسجد الحرام ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م ودفن بالمعلاة. المقريزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، م٣، حققه وعلق عليه محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٨٧، ١٨٨(١٠٨٩)، السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ٢١٤، ٢١٦ (٥٢٧).

يقضون معظم أوقاتهم في الحرم وعلى دراية بأحواله ومتطلباته، ولهم حق الإشراف على خدمة المؤسسات الدينية وكانت ولاية النظارة في الحرم مرتبطة بقضاة مكة المكرمة(١).

ولم يستقم الأمر للكيلاني إذ رفض الشريف بركات(٢) ذلك لما فيه من استهتار بأمر المسجد الحرام، كما أن أهل مكة غضبوا لذلك الأمر، مما جعل الشريف بركات يُلزم الكيلاني بعدم التحدث في شيء فأصبح المنصب شاغرا وأخذ الشريف يتودد في حديثه للسلطان وأرباب الدولة وأسند نظارة المسجد الحرام إلى سودون المحمدي، حتى يرد جواب من

---

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ج٢، ص٦٣٠، ص٦٣٦، عبدالحفيظ حمدي حامد السالمي: الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣هـ، رسالة ماجستير، إشراف ضيف الله بن يحيى الزهراني، ١٤٢٤هـ/١٤٢٥هـ، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) هو الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة السيد زين الدين أبوزهير بن البدر أبي المعالي الحسنى ولد سنة ٨٠١هـ /١٣٩٨م، تولى إمرة مكة سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م، بمرسوم من السلطان الأشرف برسباي في أواسط ذي القعدة، وجعل أخاه إبراهيم نائباً عنه وكان في حضرة السلطان بالقاهرة، وقد عزل من ولاية مكة بأخيه الشريف على سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، ثم عزل الشريف على بأخيه الشريف أبي القاسم سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م، ثم أعيد بركات ٨٤٦هـ حتى ربيع سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م . دحلان، أحمد بن زيني ١٢٣٢ -١٣٠٤ هـ /١٨١٧ -١٨٨٦م: كتاب تاريخ زيني الدين المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبيﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق أبوعبدالله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الشيخ القاهري المصري الشهير بمحمد فارس الشيخ، رأفت عبدالعزيز، مطبوعات أرض الحرمين، ص١١٣.

السلطان، فكتب السلطان في١٣صفر ٨٣٨هـ/١٤٣٤م مرسومًا بتولية سودون نظارة الكعبة ووصل المرسوم من السلطان الأشرف برسباي في ربيع الأول ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، يقضي بتولية سودون نظارة المسجد الحرام(١) وكانت المكاتبة تأتي لمن يتولي لنظارة الحرمين الشريفين بكتاب فيه خطبة مفتتحة بحمد الله "توقيع شريف بأن يفوض إلى المقرِّ الكريم أو الجناب الكريم..... ضاعف الله نعمته نظر الحرمين الشريفين على أجمل العوائد وأكمل القواعد، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور على ما شرح فيه"(٢).

وفي محرم ٨٣٨هـ/١٤٣٤م شرع سودون في هدم سقف الكعبة وظلت بلا سقف مدة وانتهى من تجديد سقف الكعبة في شهر ربيع الأول، فضلاً عن إصلاح الشقوق التي وجدت في جوانب الكعبة الأربعة(٣)

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،دار الكتب ١٩٧١م ص٩٣٠، وقد ذكر ذلك في سنة ٨٣٧هـ، ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٧٦٢ وقد ذكر أن ذلك كان في نهاية ٨٣٧ هـ/١٤٣٣م.

(٢) ابن ناظر الجيش (تقي الدين عبدالرحمن بن محب الدين محمد التميمي الحلبي ٦٩٧-٧٧٨هـ/١٢٩٨-١٣٧٧م): تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص١٤٥.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٣٤، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغُمر، ج٣، ص٥٣٦، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٨٢ ، ابن إلياس الحنفي (زين العابدين محمد أحمد ٨٥٢ -٩٣٠هـ /١٤٤٨ -١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص١٥٩.

بالجص[١] ويبدو أن سقف الكعبة كان يتم إصلاحه باستمرار من فترة إلى أخرى ففي عام٨٢٦هـ/١٤٢٢م عمر زين الدين مقبل القديدي ما خرب من سقف المسجد[٢] وربما يرجع ذلك إلى طبيعة مواد البناء، فضلاً عن طبيعة البلاد الجغرافية.

(١) الجص: هو لفظ فارسي مُعرَّب بمعنى الجبس وهو خام من كبريتات الكالسيوم المهدرنة وضرب من الحجارة تطحن وتحرق للبناء ومنه الجص العادي وهو نوع خشن غير نقي من المصيص المحروق غير النقي المطحون ويلاط به البيوت،. عاصم رزق: معجم مصطلحات ، ص٦٣، ٦٤. محمد أمين: المصطلحات، ص٢٨، ٢٩. ولفرد جوزف دللي: العمارة العربية بمصر في شرح المميزات النائية الرئيسية للطراز العربي، ووضع رسومه المستر ف تشاترتون طبقا لرسومات المؤلف الأصلية وملاحظاته، تعريب محمود أحمد المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص٢٢.

(٢) الفاسي: الزهور المقتطفة، ص١٣٤.

ثالثاً: تجديد رخام الشاذروان[١] والحجر:

حيث اهتم بتجديد رخام الشاذروان برخام حمل إليه من القاهرة ما مقداره ستون ذراعاً من الرخام لترميم الحجر وشاذروان البيت[٢].

(١) الشاذروان: لفظة أعجمية وهي فرش ملونة بصفرة وحمرة وخضرة والشاذروان من جدار البيت الحرام وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجاً عنه ويسمى تأزيراً لأنه كالإزار للبيت، وفي المصطلح المعماري عبارة عن: دخلة يتوسطها لوح رخامي مائل بزاوية حادة يسمي سلسال، أو سلسبيل عرضه أقل قليل من دخلته ينقش سطحه بزخارف بارزة وتنقش حافته ويكتنفه من الجانبين عمودان من الرخام الأبيض الملمع بالذهب يوضع بينهما اللوح الرخامي داخل تجويف رأسي مستطيل، وله استخدامات منها تلطيف الجو وتخفيض درجة الحرارة، للمزيد انظر. ابن رشيد (أبوعبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ت٧٢١هـ/١٣٢١م): ملء الغيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة، ج٥ الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٦، ١٠٧، عاصم رزق: معجم مصطلحات ، ص١٥٧ حسين عبدالله باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ، ص١٤٣، ١٥٨.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٩٣٦، ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، ج٣، ص٥٤٢، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٨٣.

رابعاً: شد أروقة[١] المسجد الحرام:

عمل سودون على شد أروقة المسجد الحرام وتطلب ذلك جلب أربعين قطعة خشب وعشرة قناطير حديد من مصر لعمل مسامير، وبعد شد الأروقة عمل على طلائها؛ لتظهر بالمظهر الجميل واستعان لذلك الأمر بخمسين حملاً من الجبس الطيب من مصر[٢]. وكانت هذه المؤن تُجلب عبر الثغور الحجازية غالباً وكانت تجلب عن طريق البر عبر صحراء السويس وفلسطين وشمال الحجاز[٣].

(١) الرواق: بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد في وسطه، وسقف مقدم البيت، وظلة للدراسة في مسجد أو معبد وركن في ندوة للتلاقي والتشاور، ويعني في المصطلح الأثري في العمارة الدينية الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أو بين صف أعمدة بشرط أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب. عاصم رزق: معجم مصطلحات، ص١٢٥.

(٢) المقريزي: السلوك ج٤، ق٢، ص٩٣٦، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٨٣، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٣١٠.

(٣) محمد حسين حامد الحارثي: الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي (٦١١م-٩٢٣هـ/١٢١٤-١٥١٧م) رسالة ماجستير، ١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى، ص٣٥٠.

خامساً: هدم مئذنة[١] باب سويقة[٢].

ومن الإصلاحات التي شهدها المسجد الحرام على يد سودون في

(١) المئذنة (Minarat): هي الموضع المرتفع المخصص للآذان، الذي هو عبارة عن زوايا للمسجد على سطحه يصعد إليها بدرك وعلي كل منارة باب يغلق عليها شارع في المسجد وعلي رؤوس المنارات شراف وهذه المآذن لم تكن موجودة في صدر الإسلام. بل دخلت المئذنة على بناء المسجد متأخرًا وتُعرف في الغرب الإسلامي بالصومعة نسبة إلى أبراج المراقبة في القلاع والحصون الرومانية أو المعابد الوثنية أو أبراج الكنائس، كما تعرف بالمنارة نسبة إلى المنار أو الفنار الذي ينبعث منه الضوء وبذلك يرجع الأصل فيها من الوجهة المعمارية أنها أخذت فكرتها من أبراج الكنائس أو من أبراج الحراسة والمراقبة أو من الفنارات القديمة وبعض أبراج العبادة في الهند والعراق وبلاد الجزيرة. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٣٤، ٦٣٥، الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٢، ٢٠٣، الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص١٧٢، عبدالسلام أحمد نظيف: دراسات في العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م، ص١٢٨ عاصم رزق: معجم مصطلحات ، ص٣٠٦. يحيى وزيري: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، ج٢، مكتبة مدبولي ١٩٩٩م، ص١٠١.

(٢) مئذنة باب سويقة: تقع على باب دار الندوة في الحائط الشمالي. أما باب سويقة فهو يتبع الشق الشامي وسماه الأزرقي: باب دار شيبة بن عثمان يسلك منه إلى السويقة وهي تُعرف الآن بباب الزيادة أو باب زيادة دار الندوة الشمالي، وقد أنشاها المعتضد العباسي أثناء توسعته للمسجد الحرام في حدود ٢٨٤هـ /٨٩٧م وهي ذات ثلاثة منافذ. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٣٠، الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٩٧، العبدري: الرحلة، ص٨٣، وذكر المقريزي أن هذه المنارة تقع على الباب اليمني من المسجد الحرام، السلوك، ٢/٤، ص٩٣٤، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٨١، الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ١٨٦.

فترته الأولى هدم مئذنة باب سويقة أو باب دار الندوة أو باب زيادة الندوة وقد تردد ذكر هذه المئذنة على لسان المؤرخين على مرِّ العصور كل منهم يذكرها حسب مسماها عندهم في بلادهم مئذنة أو صومعة فذكر ابن جبير(١): أن عدد صوامع المسجد الحرام في عهده سبع، أربع منها في الجوانب وواحدة في دار الندوة وأخرى على باب الصفا وهي أصغرها، بينما عد العبدري(٢) صوامع المسجد الحرام خمسة، وهو نفس العدد الذي ذكره ابن بطوطة خمسة إحداها على دار باب الندوة(٣) وذكر الفاسي(٤) أن للمسجد الحرام خمس مآذن منها أربع في أركانه وواحدة في زيادة الندوة، وقد صنع باب المئذنة من حديد وهذه الصناعة جديدة في عهد الأشرف برسباي الذي أصلح أبواب المسجد الحرام وكان ذلك على يد الأمير سيف الدين مقبل القديدي(٥) وبلغت طوابق المئذنة طابقين، فلما سقطت في عهد الأشرف برسباي جددها الأمير سودون وشرع في بنائها بناءاً عالياً ٨٣٨هـ/١٤٣٤م وسجل ذلك التشييد على لوحة من الحجر بجانب المئذنة(٦) وقد وجد سودون بها أثناء عمارتها

---

(١) الرحلة ، ص٧٠.

(٢) الرحلة ، ص٨٣.

(٣) رحلة ابن بطوطةج١،ص٣٧٨.

(٤) شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٤.

(٥) العقد الثمين، ج١، ٨٥.

(٦) الغازي الحنفي (العلامة المحدث عبدالله بن محمد المكي ١٢٩٠هـ -١٣٦٥هـ /١٨٧٣ -١٩٤٧م): إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام مع تعليقه المسمى بالتمام، دراسة وتحقيق عبدالملك عبدالله بن دهيش، ط١، مكة المكرمة مكتبة الأسدي، =

مالاً[١].

ويتضح مما سبق أن المآذن كانت تسقط كل فترة؛ ولعل ذلك بسبب أنها بُنيت مستقلة عن المساجد أو مرتبطة ارتباطاً غير مباشر بالمسجد، الأمر الذي يؤدي إلى سهولة تعرضها للزلازل وكان التخريب يصيب الكتلة كلها بدرجات متفاوتة[٢]، إذ حرص المعمار المسلم على وضعها خارج ساحة المسجد مجاورة له، حتى لا تشغل أي جزء من ساحة المسجد المخصصة للصلاة تطبيقاً لأحكام فقهية[٣].

ومن جملة الفساد والرشوة والبرطلة سعى ولي الدين بن قاسم الشيشيني[٤] نديم السلطان إلى منصب

=

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١، ص٧٢٨، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص٢٤٤، الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص١٨٦.

(١) ابن حجر العسقلاني:إنباء الغمر، ج٣، ص٥٣٦، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٣٠٨، السخاوي: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، م٢، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، ص٥٣٦.

(٢) فريد محمود شافعي: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ص١٥٤، ١٥٨.

(٣) فهيم فتحي إبراهيم عطا الله أحمد حجازي: دراسة مقارنة لأساليب التخطيط في العمائر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى ٢٠١٤م، ص١٧٦.

(٤) الشيشيني: محمد بن قاسم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد القادر الولوي أبواليمن ولد ٧٨٣هـ /١٣٨١م بالمحلة وحفظ القرآن وناب بالقضاء في بلدان من

=

مشيخة الخدام الطواشية[١] بالمسجد النبوي وبالفعل استجاب له الأشرف برسباي فعزل بشير التميمي[٢] في أواخر شهر ربيع الآخر ٨٣٩هـ/١٤٣٥م وهذا أمر جديد إذ لم يعهد لمشيخة الحرم منذ عهد صلاح الدين الأيوبي إلا للخدام الطواشية ولم يقف الأمر على ذلك بل عزل سودون المحمدي من منصب نظارة الحرمين وشاد العمائر بمكة وولي الشيشيني مكانه[٣].

الفترة الثانية في عهد الظاهر جقمق:

في بداية عهد الظاهر جقمق تم نفي سودون المحمدي خارج مصر؛ لانضمامه إلى الملك يوسف العزيز بن السلطان برسباي ، رغم

=

أعمال المحلة وقد ربطته علاقة قوية بالأشرف قبل تولية السلطة، حيث سانده ووقف بجانبه وأكرمه فأسرها برسباي في نفسه لما تولى السلطنة وقُربَّه منه، وعرف بخفة دمه بجانب سمنته فأصاب ثراء كبيرًا وعلت منزلته في عهد جقمق ومات مطعوناً في ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨، ص٢٨١ (٧٧٧).

(١) الطواشية جمع طواشي وهو الخصي. السبكي: معيد النعم، ص٣٩.

(٢) بشير سعدالدين التنمي الطواشي استقر في مشيخة الخدام الطواشية سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م ثم عزل بالولوي سنة ٨٣٩هـ /١٤٣٥م وتوفي سنة ٨٤٠/ ١٤٣٦م وهو متوجه لمكة ودفن ببدر. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص١٧ (٧١).

(٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤، ص١٥، ابن فهد: إتحاف، ج٤، ص٩٣، ٩٤. الظاهري الحنفي: نيل الأمل القسم الرابع من الجزء الأول، ص٣٩١، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٢.

وجود مصاهرة بين سودون وجقمق، حيث كان سودون زوج أخت خَوند مُغل زوجة الظاهر جقمق، ولم يراع سودون هذه المصاهرة وانضم لولد أستاذه العزيز بن برسباي مفضلا علاقة أستاذه على المصاهرة، الأمر الذي أثار غضب الظاهر جقمق ونفاه خارج مصر، ولكن بعد أشهر قَبل الشفاعة فيه وأعاده إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم تألق نجمه من جديد حيث برز ومن معه من مماليك الأشرف برسباي المغضوب عليهم وعدتهم مائة مملوك في جمادى الآخرة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م حيث أرسلهم السلطان جقمق لغزو بلي[١] وقد أنعم عليهم بثمانية آلاف دينار سوي الجمال والخيل وعلى سودون بثلاثة آلاف دينار[٢].

---

(١) عرب بَلي: بطن من قضاعة من القحطانية، والنسبة إليهم بلوي وهم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة منها جماعة من أصحاب النبيﷺ من حلفاء الأنصار من أهل بدر وغيرهم، نزل أكثرهم مصر، وقد انتشرت هذه القبيلة في مصر والحجاز والشام. وكانت بلي موكلة بحفظ قسم من طريق الركب المصري المتوجه إلى مكة وهو القسم الممتد من الدأماء إلى أَكْدَي. السمعاني (أبوسعد عبدالكريم ابن الإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن العلامة أبوالمظفر السمعاني منصور بن عبدالله التميمي السمعاني المروزي الشافعي ٥٠٦ -٥٦٢هـ/١١١٢-١١٦٦م): الأنساب، حققه وعلَّق عليه عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م، ج٢، ص٣٠٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥١، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٨٠.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥١. حوادث الدهور، ج١، ص١٢٢ المقريزي: السلوك، ٤ /٣، ص١١٠١، ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٧٦٣، =

ويرجع السبب في حرب بلى ما لحق بالحجاج من قتل ونهب عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م، فقد لحق ركب الغزاويين ومن انضم إليهم من أهل الرملة وبيت المقدس وأهل ينبع لما نزلوا بوادي عنتر(١) قريب من الأزلم(٢) أثناء عودتهم من مكة ومعهم الكثير من بهار المصريين وأمتعتهم وهداياهم، إذ خرج عليهم أربعون فارساً من بلى ومعهم مائة وعشرون راجلا، يطلبون مالا، فافتدى اليانبعة أنفسهم بمبلغ من الذهب

=

الظاهري الحنفي: نيل الأمل، ج٥، ص٦٢، ٦٣، ابن إلياس الحنفي: بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٥.

(١) وادي عنتر: يقع على طريق الحجاج إلى مكة وهو يقع بعد الأزلم. الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٣١٩.

(٢) الأزلم: أو الأزنم وهي المنزل السادس عشر من منازل الحجاج تقع في نصف الطريق، وهي عبارة عن موقع منحصر بين جبلين أرضه سبخة ومياهه مالحة، وأعشابه مسهلة، وهي محطة على الساحل بعد المويلح قال عنها الجزيري ت ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م: إنها كانت من أعمر بلد في طريق الساحل بين العقبة وينبع، وكان لها درك وحراس وكان الحاج يضع متاعه في خان هناك حتى يرجع من الحج يستريح به الحجاج في طريق الذهاب ويرعون دوابهم، ومياهها رديئة، لا تشرب منها إلا الجمال، القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٨٦، النابلسي (عبدالغني بن إسماعيل ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م): الحقيقة والمجاز والرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٣١١، البلادي: معجم، ص٩٢، ٩٣، أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد متولي، الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٨٦، الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٣١٩.

فتركوهم يلحقون بالركب، أما الغزاويون فقد اشتبكوا معهم في قتال نتج عنه قتل وأسر ونهب ما معهم من الذهب والفضة وبضائع وزاد الحجاج يقال: إنها بلغت ثلاثة آلاف جمل بأحمالها ما بين عسجد وورق ونحاس وبضائع وجواهر حتى اللازورد والمياه والعبيد والجواري، ومن استطاع منهم الفرار فروا حفاة عراة يريدون اللحاق بالمحمل، فمات منهم عدد ولحق بالمحمل عدد، وتأخر منهم عدد.

وكان الموكل بالمحمل أقبغا الناصري التركماني[١] وقد طلب الحجاج منه أن يقيموا بالأزلم حتى يتعافى من سلم من الموت ولكنه رفض وأصر على الرحيل؛ الأمر الذي هلك معه الكثيرون ولم يُعاتب في ذلك وتتابع الحجاج في سيرهم فمنهم من قدم القاهرة عن طريق البر أو عن طريق البحر حيث وصل البعض لعيون القَصَب[٢]، فركب البحر من جزيرة

---

(١) أقبغا الناصري وهو أقبغا بن ماش التركماني الأصل الناصري فرج أحد أمراء العشرة ورأس نوبة، ترقى حتى أصبح أحد أمراء الطلبخاناة، وتولى نظر الخانقة بسرياقوس، وولي إمرة الحج، كما استقر على نيابة الكرك عوضًا عن خليل بن شاهين الشيخي ولم تطل مدته لتعاطيه الخمر فقبض عليه وسُجن ثم شفع فيه، فتوعد إن لم يكف عن شرب الخمر سينفى إلى قبرص ولكن المنية وافته ت ٨٤٣هـ/١٤٣٩م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٥١، السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ٣١٦ (١٠٠٩).

(٢) عيون القصب: تُعرف بعينونة أحد منازل حجاج البر بها ماء ونخل وشجر سنط وعبل كثير الغابات، شديد الحرارة وماء جار عذب ولكن لا يستطاب، وينبت به أجمة قصب وبها أماكن للاغتسال وغسل القماش. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢، ص٣٤١، محمد لبيب البتنوني: الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج =

عَيْنُون[١] وهم على أسوأ حال. وقد وصفت الحادثة بأنها من الشنائع التي لم يهتم أحد لها لإهمال أهل الدولة وإعراضهم عن عمل الصالح لاشتغالهم بأمورهم الدنيوية واختلافهم فيما بينهم[٢].

ويرجح بعض المؤرخين سبب موت الحجاج أن ذلك عقوبة لهم لأنهم خرجوا من مصر والطاعون منتشر، فقد بدأ من أول شهر رمضان وكثر في شوال وما تلاه حتى أن الحجاج لما نزلوا ببركة[٣] الحاج على

=

عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ، ص٣٤.

(١) عَيْنُون: كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العيون، ولا يجوز هذا في اللغة العربية وهي بوزن هينون ولينون إلا أن يراد به العين الوبيئة فيجوز قياسا لم نسمعه وهي قرية في طريق المصريين إذا حجوا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٨٠.

(٢) المقريزي: السلوك، ٤ /٣، ص١٠٧٠، ١٠٧١، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٤، ص٨٩، ٩٠. ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١١٧، ١١٨، ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص٤٣٤، ٤٣٥، السخاوي: وجيز الكلام، ص٥٦٣. الجزيزي: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٣.

(٣) بركة الحاج: يقال لها جب عميرة أو بركة الجب، وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القَرْناء، وهي أحد منازل الحاج على الطريق البري من القاهرة إلى مكة وتستغرق ست ساعات من القاهرة إليها، يمكث بها الحاج من ثلاثة إلى خمسة أيام، بها آبار طيبة عذبة سائغة وأسواق عظيمة. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م): البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١٧٨ ، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢، ص٣٤٠.

عادتهم مات منهم كثير بالطاعون فعوقبوا بذلك[١] فقد روي عن أسامة بن زيد قال: قال رسول اللهﷺ: "إن هذا الوباء رجز أهلك الله به بعض الأمم قبلكم. وقد بقي منه في الأرض شيء يجيء أحيانا ويذهب أحيانا. فإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها. وإذا سمعتم به في أرض فلا تأتوها"[٢]. نعم أمرنا الرسولﷺ بالبقاء في موضع المرض إذا وجد، والامتثال لأمرهﷺ واجب، لكن رغبتهم في المسير إلى بلد الرسولﷺ وشوقهم لحج بيته الحرام وزيارة قبرهﷺ هو ما جعلهم يخرجون من بلدهم؛ وربما أملاً في النجاة من هذا المرض بالتماس الشفاعة من خاتم الأنبياءﷺ.

وقد برز سودون بموجب الأمر الذي صدر له لقتال عرب بلى ٨٤٢هـ/١٤٣٨م ومعه الشريف صخرة[٣] أمير ينبع[٤]، وأمير العقبة في

(١) المقريزي: السلوك، ٢/٤، ص١٠٤٠، ص١٠٤٦، السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٥٦٣.

(٢) الصنغاني (الحافظ الكبير أبي بكر عبدالرزاق بن همام ١٢٦-٢١١هـ/ ٧٤٣-٨٢٦م): المصنف، ج١١، عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه، الشيخ حبيبا الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، المكتب الإسلامي بيروت، ص١٤٦، (٢٠١٥٨).

(٣) صخرة بن مقبل بن مخبار مات سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٣١٧ (١٢٠٩).

(٤) ينبع: يوجد في الحجاز ينبع البحر وهي توجد على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وليس بها مياه عذبة ولكن يعتمد أهلها على الأمطار مثل جدة، وهناك ينبع النخل تقع في الجهة الشرقية من ينبع البحر بها عيون جارية يعتمدون عليها في الزراعة، ويكثر بها النخيل. أيوب صبري: مرآة جزيرة العرب، ص١٥٢، ١٥٣.

طلب بلى والتقوا في أكره[١] فيما يلي الشرق عن يسار درب الحاج عند جبل الورد، وحاربهم وقتل جماعة منهم وجرح كثيراً وهزمهم وقتل معه جماعة[٢] وندب السلطان الظاهر جقمق بعده الأمير أحمد اليوسفي[٣]، أحد أمراء العشرات؛ لإصلاح مناهل الحجاز وتقوية لسودون المحمدي[٤] وقد ردع عرب بلى بحرب المماليك لهم، بدليل وفود مشايخهم في شهر رمضان ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م للسلطان؛ لطلب العفو وتعهدهم بحفظ طريق الحجاج[٥].

على أن سودون ما أن أنهي مهمته التي في طريقه إلى مكة المكرمة استأنف السير لتحمل أعباء مهامه الأخرى، حيث ولاه الظاهر

---

(١) أكره: وهي على طريق الحج المصري وتسمى فم الضيقة وهي أصعب مراحل الطريق وماؤها غزير سائغ. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج٢، ص٣٤١، الجزيري: الدرر الفرائد، ج٢، ص٥٦.

(٢) المقريزي: السلوك، ٣/٤، ص١١٠٥.

(٣) أحمد بن على إينال اليوسفي الأمير شهاب الدين بن الأمير أحد خواص الظاهر وأحد أمراء العشرة الذي تولى نيابة الإسكندرية سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، وجهه وصحبته أربعون مملوكاً لقتال عرب بلي من عرب الحجاز ثم عاد ومعه جماعة سمروا ثم وسطوا سنة ثلاثة وأربعين. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص١٠٩، السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٦، ٢٤٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص١١٠٢ المقريزي: السلوك، ٣/٤، ص١١٠٥.

(٥) المقريزي: السلوك، ٣/٤، ص١١٠٩.

جقمق أميراً على الأتراك في مكة بدلاً من أَرَنْبُغَا[١] وناظراً للحرمين وشاداً للعمائر بهما بدلا من القاضي ولي الدين بن قاسم، ووصل الأمير سودون يوم الأحد السادس عشر من شعبان ٨٤٢هـ /١٤٣٨م مكة وطاف وسعى، وعاد إلى الزاهر[٢] خارج مكة، ثم دخل مكة يوم الثلاثاء لابساً التشريف وقرئ توقيعه بالمسجد الحرام بالحطيم[٣] والذي تضمن أنه ناظر الحرمين، ومشد العمارة بهما، وأمير على الترك وكانت صحبته خمسين مملوكا من أصل مائة خرجوا معه لقتال عرب بلي[٤].

---

(١) أرنبغا اليونسي الناصري فرج عمل أمير عشرة، ورأس نوبة في أيام الأشرف برسباي، وجاور بمكة مقدماً على المماليك السلطانية فترة طويلة، ثم جعله الظاهر جقمق من جملة الطلبخانات، ثم قدم الأشرف إينال فلم تطل مدته في دولته، وتوفي في ربيع الأول ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج٣، ص١٣٣، السخاوي: الضوء اللامع، ج٢، ص٢٦٩، ٢٧٠ (٨٤٢).

(٢) الزاهر: عرفه ابن بطوطة بأنه: على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم وهو موضع على جانبي الطريق فيه أثر دور وبساتين وأسواق بينما عرفه البلادي بأنه: أحد أحياء مكة الغربية محسوب من جرول وتسكنه قبيلة حرب، والزاهر الثاني كان بذي طوي وكان بستاناً للشريف وهو اليوم حلقة للخضار والفواكه. ابن بطوطة: رحلة، ج١، ص٣٨٣، البلادي: معجم، ص٧٥٢، ٧٥٣.

(٣) الحطيم بين الركن وزمزم والمقام والحجر فمن هناك يبدأ الطواف وينتهي، وفيه تُصلى ركعتي الطواف وفيه الملتزم وعليه يفتح باب الكعبة وسمي ذلك؛ لأنه يحطم الذنوب أي يسقطها وقيل: لأنه حطم من البيت وقيل: لأن من حلف كذباً أنحطم دينه ودنياه. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٥٢٣، ابن فضل الله العمري: مسالك، ج١، ص١٨٥، معجم البلادي: ج٢، ص٤٨٠، ٤٨١.

(٤) المقريزي: السلوك، ٣/٤، ص١١٠١، ١١٠٢، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٢٨، ١٢٩، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٥، السنجاري (علي بن تاج الدين بن تقي الدين =

وباشر سودون عمله في مكة وأخذ ينظر في أمور الحرم ومما عرض له في ذلك الوقت باعتباره ناظر الحرم معارضة أمير الحاج المصري تنبك[١] حاجب الحجاب لإمام المالكية الحسني الفاسي[٢] حيث أوقفه عن مباشرة عمله في المسجد الحرام، ولكن سودون بعد مغادرة الركب المصري جعله يباشر عمله فباشره من مغرب ليلة الثامن عشر من ذي الحجة إلى صبح يوم الأحد تاسع جمادى الأولى ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م ثم عزل منها بمحمد النويري[٣] وابن عمه[٤].

=

١٠٥٧هـ-١١٢٥هـ): منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج٣، تحقيق ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٧.

(١) تنبك هو تنبك البَرْدبَكي حاجب الحجاب أحد مقدمي الألوف وقد خلع عليه السلطان جقمق إمارة حاج المحل بدلا من إينال الأشرفي في شوال ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٦٨، ١١٤.

(٢) هو عبداللطيف بن أبي السرور محمد بن عبدالرحمن بن أبي الخير محمد بن عبدالرحمن الحسني الفاسي المكي، ولد ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م. وتعلم على شيوخ عصره وسمع منهم، وله رحلات إلى القاهرة وحلب ودمشق واليمن وبلاد المغرب طلباً للرزق، وكان خيّراً مباركاً توفي في المدينة المنورة ٨٦٤ هـ/١٤٥٩م. ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، ص٩٠١، ٩٠٤ (٨٥٠)، معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهي، وتقديم حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ص ١٤٥، ١٤٦، (١٢٥)، السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٣٣٥(٩٢٨).

(٣) محمد بن محمد بن علي بن عبدالعزيز الهاشمي العقيلي النويري ولد بمكة ونشأ بها، ودخل القاهرة عدة مرات ت ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م. ابن فهد: الدر الكمين، ج٢ (٢٥٥).

(٤) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٣١، ١٣٢، السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، ص٧٠ (٢٧٠٢).

أعمال سودون المعمارية في عهد جقمق:

أولاً: إصلاح سقف الكعبة مرة ثانية:

وعلى الرغم من أن سودون قد أصلح سقف الكعبة قبل ذلك عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، إلا أن سطح الكعبة صار يدلف بالماء مرة أخرى ولعل ذلك راجع إلى أن سودون لم يعمل على إمالة سطح الكعبة تجاه الميزاب(١)، بحيث تسرب الماء الساقط عليها من المطر وذلك لاستواء السطح ووجود أخشاب الكسوة(٢) فضلاً على أن رخامه كان مشتغلاً من الجص وهو نوع غير نقي من الحجر. فقام سودون في شهري المحرم وصفر من سنة ٨٤٣هـ/١٤٣٩م بإزالة الرخام الذي يعلو سطح الكعبة(٣)؛ وعوض عن الجص بالنورة.

كما أخرج سودون الروزان التي كانت للضوء في سطح الكعبة ووضعها في جوف الكعبة وسد مكانها من السطح حتى لا يدخل شيء من المطر إلى جوفها، ولم يكن رخام السطح فقط هو الذي بلي، بل بليت معه الأخشاب التي تُربط بها الحبال لتشد بها ثياب الكعبة، على الرغم من أن أخشاب الكعبة المعدة لربط الكسوة قد أبدلت بأخشاب جديدة

---

(١) الميزاب: يقع بين الركن العراقي والشامي وسط الجدار المفعم بالنور الذي يلي حجر إسماعيل عليه السلام وسط الكعبة حيث تجري ماء المطر منه حتى لا يخر السقف وقد توالى إنشاؤه على سطح الكعبة منذ عهد قصي بن كلاب حتى وقتنا هذا. الغازي الحنفي: إفادة الأنام، ج١، ص٤٣٢، الكردي: التاريخ القويم، ج٤، ص١٦٧.

(٢) عبدالحفيظ حمدي: الحياة الدينية، ص٣٧.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٨، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٠، ٣١.

محكمة في ٨٢٥هـ/١٤٢١م على يد الأمير مقبل القديدي[١]، الأمر الذي استلزم معه تجريد الكعبة من الثياب في ضحى يوم السبت العاشر من صفر ٨٤٣هـ/١٤٣٩م فوضعت الثياب في أرض الكعبة وظلت الكعبة مجردة عن كسوتها يومين وليلتين حتى نصبت أخشاب جدد وعلقت الكسوة من جديد في ضحى يوم الاثنين ثاني عشر صفر[٢].

ومع ما قصده الأمير سودون من إصلاح ما دلف من البيت الحرام إلا أن كبار العلماء وأهل الصلاح قد أشاروا عليه بعدم تجريد سقف الكعبة؛ لأن على البيت كتابة تمنع الطيور من أن تجلس بأعلى البيت[٣] ولكن الأمير لم يلتفت إلى ما قالوه، مما ترتب عليه، رحيل كثير من أهل مكة منها؛ خشية نزول بلاء بهم، كما صار الطير يأوي بسقف البيت مما أتعب معه الخدم، فكانوا كل يوم ينزلون بقفف من أعلى البيت من روث الحمام وغيره، فضلاً عن تعرض بعض العلماء إلى الضرب

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٨٧.

(٢) ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، ٧٦٣، إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٨، ١٤٩، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٥، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٥ وقد ذكر فيه خطأ تاريخ ٨٥٣هـ والصواب ٨٤٣هـ، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٠، ٣١.

(٣) وليس على سقف الكعبة كتابة ولا غيرها ولكن الحمام يعشق بطبيعة الحال الأماكن المفتوحة والوقوف على الأخشاب إذ إن الكعبة وكسوتها عليها لا يألف الحمام وقوفه عليها وما إن تبدلت الحال ونزعت الكسوة ظهر منها الخشب والبناء فوقف عليها الحمام وما يدري لعل الحمام كان يُلقي بروثه على الكعبة وهي مكسوة. الكردي: التاريخ القويم، ج٢، ص٢٨١.

والإهانة مثل المحب البكري الشافعي[١] الذي أنكر على الصناع عملهم مما عرضه للضرب والإهانة وقيل: إنه مات متأثرا من جراء ذلك الضرب، على أن الأدهى من ذلك أن السقف بعد إصلاحه صار يدلف أكثر من قبل، وقد أراد سودون التقرب إلى الله بذلك ولكنه لم يحسن فيما قصده وقد ندم على ما فعل وعد ذلك من سيئاته وتمثل فيه قول القائل:

رام نفعا فضر من غير قصد	ومن البر ما يكون عقوقا[٢].

ثانياً: إصلاح حجارة الكعبة:

وفي صفر أو في ربيع الأول أصلح سودون حجارة الكعبة من الداخل الخاصة بالجدار المقابل للداخل من الباب.

ثالثاً: إصلاح رخام الحجر:

أصلح سودون المحمدي رخام حِجْر إسماعيل عليه السلام[٣] على الرغم من أن أرض الحجر قد عمرت قبل ذلك في عهد الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م، ودون اسم الظاهر في رخامة في أعلى الحجر وفي

(١) القاضي المحب بن أبي الحسن على بن أحمد بن عبدالمنعم البكري الشافعي، مات بعد رجوعه من الحج في سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، ولعله مات شهيداً وقد جاوز التسعين، وغبط بما اتفق له، وكان عارفاً بالأحكام وقوراً عاقلاً كثيرًا وجاور بمكة. السخاوي: وجيز الكلام، ج٢، ص٥٦٨(١٣١١).

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٤٦، ٢٤٧، المنهل الصافي، ج٦، ص١٢٢، ١٢٣، حوادث الدهور، ج١، ص١٤٥، السخاوي: التبر المسبوك، ص١٥٣، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٦.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٩، الطبري: الأرج المسكي، ص١٧٠، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣١.

فتحة الحجر الشرقية، وفي الفتحة الأخرى تم ذكر بعض ألقابه، ثم عمر سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م كثير من رخامه بالجبس لسقوط معظمه، وفي عهد الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م عمِّر كثير من جدار الحجر في ظاهره وباطنه وأعلاه وفي أرض الحجر على يد الأمير زين الدين القديدي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م عمارة حسنة بالجص[١].

رابعاً: عمارة الكثير من المآذن:

تناول سودون عدة مآذن وأصلحها ففي صفر ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، بيَّض مئذنة[٢] باب السلام[٣]، وفي ربيع الأول وقع خراب في

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٥٩، الصباغ: تحصيل المرام، ص٢١١.

(٢) مئذنة باب السلام: عمَّرها الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٨ هـ/ ٧٨٤م وهي الموجودة على باب بني شيبة بين الجانب الشمالي والشرقي وهُدمت سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م في زمن الناصر فرج بن برقوق، وعُمِّرت للمرة الثانية ثم عمرت في عهد السلطان مراد خان الثالث. العبدري: الرحلة، ص٨٣، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٦ باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص٢٤٢، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٥.

(٣) باب السلام: وهو من أبواب الجانب الشرقي ويُعرف قديماً بباب بني شيبة وهو باب بني عبد شمس بن عبد مناف وبه كان يعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكة، والباب له ثلاثة منافذ ومنه كان دخول الخلفاء وهو من الأبواب التي أحدثها الخليفة المهدي عند بنائه للمسجد حيث كان مكانه دورًا لأهل مكة، ثم صار في وسط الحرم شرق المقام إلى الشمال مرموز له بعقد يمر الناس تحته وحوله، ثم أزيل في التوسعة السعودية. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٢٠، ٦٢١، الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٨٨، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص١١٤، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٥، البلادي: معجم، ص١٦١.

أسفل مئذنة[١] باب على[٢] من جهة المسجد الحرام ووصل ذلك إلى السقف وأغلق أعلى المئذنة، وقام سودون بتعمير ذلك، كما بيضت مئذنة[٣] باب العمرة[٤] وفي آخر ربيع الأول وأول ربيع الآخر بيضت

---

(١) مئذنة باب علي: عمَّرها المهدي في توسعته للحرم وكانت من دور واحد ثم جددت مرة ثانية في عهد السلطان سليمان خان بن سليم. باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص٢٤٢، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٥.

(٢) باب علي: وهو من الأبواب الشرقية للمسجد وعرف قديماً بباب بني هاشم وبباب سوق الليل، إلا أن اسم على استقر عليه منذ القرن الخامس الهجري حتى التوسعة السعودية، وهو منفتح على ثلاثة أبواب. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٢٢، الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص١٩٨، ابن جبير: الرحلة، ص٨٢، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٣، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٨٠، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص١١٩.

(٣) مئذنة باب العمرة هي المنارة التي تلي باب بني سهم وتشرف على دار عمرو بن العاص في الركن الشمالي الغربي عتيقة البناء أمر بإنشائها الخليفة أبوجعفر المنصور سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م، وقد سقطت ٥٥١هـ /١١٥٦م وعمَّرها وزير صاحب الموصل، وفيها يؤذن صاحب الوقت ببكة وهو رئيس المؤذنين أيام الفاكهي، وقد بنيت المنارة على نظام منائر مصر حيث يعلق في رأسها ثلاثة قناديل في ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المنارة، ثم غُير رسمها في عهد العثمانيين. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٣٤، الفاكهي: أخبار مكة، ج٢، ص٢٠٢، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٦، الغازي الحنفي: إفادة الأنام، ج١، ٧٢٦، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص٢٤١، ٢٤٢.

(٤) باب العمرة: وهو من أبواب الجانب الغربي ويُعرف قديماً بباب بني سهم، وله طاق واحد وعرف بباب العمرة ؛ لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه، أنشأه أبوجعفر المنصور في عمارته للمسجد وجدده الخليفة المهدي في عمارته الأولى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م ويؤدي هذا الباب بالحجاج والزوار إلى =

مئذنة الحزورة[١]، وفي ربيع الآخر بيضت مئذنة باب علي.

خامساً: إصلاحات أخرى:

وفي نفس العام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م أخرب الرفوف[٢] التي بالمسجد الحرام، أي أزالها؛ لأنها بُليت، وفي جمادى الأولى بيَّض علو

=

صحن المسجد، ويتميز بكثرة الزمازمة وأماكن الوضوء العامة. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، محمد عبدالله صالح: الحرم المكي الشريف نشوءه وتوسعاته وتأثيره على محيطه العمراني قبل التوسعات السعودية، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م١، كلية العمارة والتخطيط جامعة الملك سعود الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٤٦، طه عبدالقادر عمارة: تاريخ عمارة وأسماء المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، جامعة أم القرى، مركز أبحاث الحاج، ص١٢٧، ١٢٨.

(١) مئذنة الحزورة: عمَّرها الخليفة المهدي، وقد سقطت في زمن الأشرف شعبان بن السلطان حسين سنة ٧٧١هـ /١٣٦٩م وقد سلم الناس من شرها وعمِّرت على دورين وفرغ من ذلك في مستهل محرم ٧٧٢هـ/١٣٧٠م. الفاسي: شفاء، ج١، ص١، ص٣٩٦، ٣٩٧، ابن ظهيرة: الجامع اللطيف، ص١٨٣، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد، ص٢٤٣، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣٥.

(٢) الرفوف: سقف خشبي مائل يحمل على كوابيل خشبية مثبتة في الحوائط فوق المقاعد أو المصاطب أو مكاتب الأيتام؛ للوقاية من الشمس والمطر، كما يستعمل في تغطية الميضأة وسط الصحن المكشوف في المدارس والمساجد لحماية المتوضئين ويأتي استخدامه في العمارة المملوكية بمصطلحات مختلفة. سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤٤١، ٤٤٢، عاصم رزق/ معجم المصلحات، ص١٢٣.

مقام إبراهيم عليه السلام وعلو مقام الحنفي، والقبة[١] التي على باب إبراهيم[٢].

وفي نفس العام ٨٤٣هـ /١٤٣٩م جدد الميل[٣] الثالث المقابل

---

(١) القبة : ويغلب على الظن أن المسلمين نقلوا بناء القباب عن الساسانيين والبيزنطيين والأقباط واستخدموها بشكل مختلف مع أشكال مختلفة واستخدموا الطوب والحجر والخشب المرصص، وكانت القباب التي عرفتها العمارة الإسلامية ذات أنواع وأشكال مختلفة، وكان لاستخدام القباب في العمارة الإسلامية رؤية خاصة فهي لم تكن حلا بيئياً ومناخياً أو إنشائياً ووظيفيّاً فقط بل وأيضا رمزاً روحانياً يرمز إلى السماء خاصة في المناطق المسقوفة من المسجد حيث تعتبر صورة مصغرة لما يراه العربي في صحرائه من اتساع الأفق واستدارة السماء فوقه. حسن محمد زكي: في الفنون الإسلامية، نوابغ الفكر، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٤٨، عاصم رزق: معجم مصطلحات، ص٢٢٢، يحيى وزيري: موسوعة العمارة، ج٢، ص٧٧.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٩، ١٥٠، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٥، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣١، ٣٢.

(٣) الميل: هي الأعلام المبنية في طريق مكة وقد بُنيت على مقادير مدى البصر من الميل إلى الميل وكل ثلاثة أميال منها فرسخ، والميل هو منارة تبنى للمسافر في أنشا. الأرض وأشرافها وقد بُنيت أعلام الحرم كعلامة للطرق والحدود. وتسمى الأميال أيضاً أنصاب وهي حدود الحرم والنِّصْبَةُ هي السارية، وأعلام الحرم قد انتصبت في البقاع والتلال والجبال والقيعان وهي مبنية بالحجر ومجصصة بالنورة. الحربي (إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبدالله بن ديسم ١٩٨-٢٨٥هـ/٨١٣-٨٩٨م): المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٤٧١، ٤٧٢، محب الدين الطبري المكي (الحافظ أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر ٦١٥ -٦٩٤هـ): القرى لقاصد أم القرى، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م، ص٦٥١، ٦٥٢. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش: الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به دراسة تاريخية وميدانية، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، ص٤١، ٤٢.

للميل الملاصق للمنارة المنسوبة إلى باب على[١]، والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان، والميل الذي يقابله الذي هو علامة للسعي فيهما والميل الذي يلصق دار العباس بالمسعى وأصلحهم وأطال بناءهم وكانوا أرق من ذلك[٢] وهذا الميل الملاصق لدار العباس المسمى برباط العباس أحد الميلين الأخضرين اللذين بالمسعى كدليل للهرولة[٣] ومن طريف ما يحكى أنه في عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م اجتمع القضاة وكشفوا عن الميليْن من المسعى ولما جاءوا للميل الذي عند رباط العباس قال القاضي الشافعي محب الدين بن أبي السعادات[٤]: هذا مبني منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وصار يكرر ذلك، الأمر الذي جعل القاضي المالكي نور الدين على النويري[٥] يقول وهو ماش خلفه: والله ما بناه إلا سودون

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٥٠، ١٥١.

(٢) النهرواني: الإعلام، ص٢٣٥.

(٣) الكردي: التاريخ القويم، ج٥، ص١٣٠.

(٤) هو القاضي أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن ظهيرة المحب أبوالطيب بن الجلال أبوالسعادات بن ظهيرة، ولد بمكة وحفظ القرآن وتعلم على يد علمائها وأذن له بالإقراء وتولى قضاء مكة نيابةً عن أبيه، ثم استقل به بعد موته، ثم انفصل بابن عمه، ثم أضيف إليه نظر الحرم وعدة رباطات وقضاء جدة ثم انفصل ودرس وألف كتبًا كثيرة ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ودفن بالمعلاة. السخاوي: الضوء، ج٢، ص١٩١، ١٩٢.

(٥) نورالدين على محمد محمد على أحمد عبدالعزيز الهاشمي العقيلي النويري المكي المالكي ولد ٨١٥هـ/ ١٤١٢م بمكة وتعلم علومًا كثيرة متنوعة ودرس وأفتى وتولى قضاء مكة عدة مرات ت ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م ودفن بالمعلاة. ابن فهد: الدرر الكمين، ج٢، ص١٠٨١، ١٠٨٦ (١٠٦٧).

المحمدي وصار يكرر ذلك[١].

وقد وضعت سابقاً أنف خشبية بين باب علي وباب بازان[٢]؛ للإنارة في ليلة السابع والعشرين من رجب، ولكن لم يكتمل تنفيذها، فعمل سودون على إزالتها وجعل في كل ميل قنديل يسرج في رجب وشعبان ورمضان وبعض ذي الحجة وفي الصفا قنديل وفي المروة قنديل[٣].

على أن اختصاصات سودون لم تتوقف على تشييد العمائر بل وكل له النظر في أمور الحرم وفعل ما يقتضيه الواقع، ففي عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م طلب السلطان جقمق امتثال السيد بركات لديه، ولكن لم يستطع الشريف بركات مغادرة مكة والذهاب إلى مصر، لما في ذلك من وقوع ضرر ومشقة على أهل مكة والمجاورين والتجار الذين يتعرضون للسلب والنهب من مخالفي النظام وربما وصل الأمر إلى فقد الأنفس في ظل غياب قيادة حكيمة مثل الشريف بركات، مما جعل ناظر الحرمين سودون يكتب إلى السلطان: بأن الضرورة تقتضي بقاء الشريف بركات في مكة وأن الشريف سوف يرسل للخزنة الشريفة من صُلب ماله

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٥٣٢.

(٢) بازان: من أبواب المسجد الجنوبية وسُمي بذلك؛ لقربه من عين مكة المعروفة ببازان (حنين) وعرفه الأزرقي بباب بني عائذ. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٢٣، الفاسي: شفاء، ج١، ص٣٩٣.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٩، ١٥٠، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٥، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٥، ٢٣٦، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣١، ٣٢، باسلامة: تاريخ المسجد الحرام، ص٢٦٤.

عشرة آلاف دينار عن نفسه وعن ذوي شكر وشُميلة خمسة آلاف دينار، وقد سمح السلطان بذلك وأرسل الشريف فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر إلى الطور(١).

كما طلب السلطان من سودون المحمدي إحضار ولي الدين بن قاسم نديم السلطان الأشرف برسباي وقد طلب السلطان إحضاره أكثر من مرة قبل ذلك آخرها أنه كتب لسودون بذلك فأخرجه سودون من مكة إلى جدة ونزل ينبع ومضي إلى المدينة ثم رجع إلى ينبع واعتذر بن قاسم عن الحضور فغضب السلطان منه وجهز السلطان خاصكيا ورسم له بأن يأخذ منه تسفيره بألف دينار وسافر به من مكة إلى القاهرة(٢).

ولم تنته تجديدات سودون بعد ففي نفس العام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م عمر مسجد نمرة(٣) بعرفة وعمر عدة أماكن من المواضع المأثورة في منى(٤) وفي المشعر الحرام(٥)

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٦١، الظاهري الحنفي: نيل الأمل، ق٥ /ج٢، ص١٢٤.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٦٢.

(٣) مسجد نمرة: يقال إن الخليل عليه السلام بناه وهذا غير صحيح وهو على يمين السالك من مكة إلى عرفات، قريب الطريق مدانياً إلى عرفة، وجدرانه قائمة ومنبره لا سقف له. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص١٩٧.

(٤) منى: هي بطحاء بين جبليْن، يجتمع بها الحجيج وبها تُرمى الجمرات وبها مسجد الحيف، وكانت في الجاهلية مكاناً للقاء الأحبة وفراقهم، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص١٩٣.

(٥) المشعر الحرام: المشعر هو العلم المتعبد من متعبداته وهو من مناسك الحج، ويقصد به قُزَحُ وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، وقيل ما بين =

بمزدلفة[١] ومما يحمد لـــه ويشـــكر عليـــه تمهيـــد الطريـــق للحجـــاج والمعتمرين إذا كان الطريق من مكـــة إلـــى عرفـــات ممتلئـــاً بأشـــجار السلم[٢] والشوك التي كانـــت منشـــرة بـــين المـــأزمين[٣] فـــي طريـــق عرفة وتكمن أهمية ذلك العمل في أنـــه رفـــع عـــن الحجـــاج أمـــريْن

=

جبلي المزدلفة إلى مأزمي عرفة إلى وادي مُحَسِّر، والصحيح أنه الجبـــل. ابـــن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص ١٩٤، البلادي: معجم، ص١٦٠١.

(١) مزدلفة: هي المقصودة في قوله تعالى **(فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا)** وكلها مشـــعر إلا بطـــن محسر، ومنها حصى الجمرات وبه مسجد المزدلفة الذي يجمع فيه بين المغـــرب والعشاء إذا نفر الحاج من عرفات، وسميت المزدلفة جمعاً؛ لأن آدم اجتمع بحواء ودنا منها، وقيل لأنه يجمع فيها بين صلاتين، أو لأن الناس يزدلفون فيها إلى الله أي يتقربون بالوقوف فيها. ابن فضل الله العمري: مسالك، ج١، ص١٩٤.

(٢) السَّلَم: نوع من شجر العضاه وهو كل ما له شوك، سليب العيدان طولاً، ليس لـــه خشب وإن عظم، وله شوك حاد وبَرَمَةَ صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح. ابن أوس الأنصاري (أبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري ت٣١٥هـــ): كتـــاب الشـــجر والكلأ، تحقيق أنور أبوسويلم، محمـــد الشـــوابكة، دار الأبجديـــة، الأردن، ط١، ١٤١٥هـــ /١٩٩٥م، ص٥٢، ٥٧.

(٣) المأزمين: المأزم كل طريق ضيق بين جبلين، وموضع الحرب تُسمى مأزم، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين. ابن منظور (أبوالفضـــل جمـــال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ٦٣٠ هـــ - ٧١١ هـــ /١٢٣٢ م - ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر بيروت م١٢، ص١٧، محمد محيـــي الـــدين عبدالحميد/ محمد عبداللطيف السبكي: المختار من صحاح اللغة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ص١١.

أولهما: حماية الشقاديف[١] والهوادج عند مزاحمة الحجاج في ذلك الموضع، **وثانيهما:** رفع خطر قطاع الطريق الذين اتخذوا من هذه الأشجار موطناً ومكمناً للسرقة، حيث كانوا يسرقون الحجاج قدر استطاعتهم، فعمل رحمه الله على إزالة الأشجار والصخور الكبيرة ونظَّف الطريق وشكره الناس على معروف صنيعه[٢].

وباعتباره ناظر الحرمين كانت لا تُقرأ مراسيم العزل والتولية من قبل السلطان إلا بحضوره، كما كان يتدخل عند حدوث أي مشكلة لحلها أو معرفة ما يجب فعله، ففي جمادى ٨٤٥هـ/١٤٤١م قرئ توقيع السيد علي بن حسن بن عجلان[٣] على إمارة مكة بدلاً من أخيه بركات، لكون

---

(١) الشقدف: عبارة عن سريريْن من الخشب وقاعدتهما من الحبال، وعلى حافة كل سرير من الجنب الخارجي والخلفي شبكة من العيدان، إذا ضم السريران على ظهر الجمل بحبال متينة يكونان قبة تغطي كل شيء، يقي الراكب من الحر والمطر، وهو يسع نفرين ويمكنهما أن يناما فيه كما يمكن أن يجلس الراكب على راحلته بواسطة وسادات صغيرة وخفيفة يضعها على ما يحب. البتنوني: الرحلة الحجازية، ص٢٠٧.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٦٥، السخاوي: التبر المسبوك، ص١٥٣، النهرواني: الإعلام، ص٢٣٦، السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص٣٤، باسلامة: تاريخ عمارة المسجد ، ص٢٦٤، الكردي: التاريخ القويم، ج٤، ص٣٣٠.

(٣) علي بن حسن بن عجلان تولى إمرة مكة منفرداً سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م وأرسل معه العسكر من مصر، وحدث بينه وبين بركات حرب انهزم فيها بركات وتوجه صوب اليمن، ولكنه لم يستمر طويلاً في إمرة مكة، إذ قبض عليه مع أخيه إبراهيم سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م وعزل بأخيه أبي القاسم بن حسن، وكان الشريف على =

الشريف بركات امتنع عن الحضور عدة مرات، وقرئ توقيعه بحضور القضاة الشافعي والمالكي ونائب الحنبلي وناظر الحرمين والأمير سودون المحمدي والأمير يشبك الصوفي[١] الذي أرسله السلطان مع الشريف علي لمساعدته في قتال أخيه الشريف بركات مدعوماً بخمسين من المماليك السلطانية[٢]، كما كان من حق سودون حضور مجالس فض المنازعات بين القضاة مثل ما حدث بين قاضي الشافعية والمالكي وبين المجاور المقدسي الواعظ[٣] فقد حضر سودون المجلس مع الشريف

=

حسن المحاضرة كريماً، ذا ذوق وفهمٍ ونظم، توفي في دمياط مطعوناً مسجوناً سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. العاصمي المكي (عبد الملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي ١٠٤٩ -١١١١هـ/ ١٦٣٩ -١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في إنباء الأوائل والتوالي، ج٤، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، ص ٢٨١، ٢٨٣.

(١) يشبك بن جاني بك المؤيدي شيخ وعرف بالصوفي، صار بعد أستاذه خاصكيا، ثم امتحن في أيام الأشرف برسباي لكونه ممن اتهم بمعرفة محل جانبك الصوفي ثم نفاه ثم أعاده خاصكيا ثم ترقى به الحال في عهد جقمق وحدثت له محن وابتلاءات ثم أنعم عليه بأتابكية دمشق وكان طوالا مليح الشكل مع طمع وسوء سيرة ت سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م. السخاوي: الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٧٠ (١٠٧٥).

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٨، ١٠٩.

(٣) هو أبوالعباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن داود بن عمرو بن على بن عبدالدائم الشهاب. السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص٣٦٣، ٣٦٦.

بركات لفض المنازعة القائمة[١]، كما عمَّر في نفس العام ٨٤٥هـ/١٤٤١م أماكن في المسجد الحرام.

وعلى الرغم من أن العلماء وأهل الصلاح قد اعترضوا قبل ذلك على تجريد سودون المحمدي للكعبة من ثيابها وحدث ما لا يحمد عقباه، إلا أن الضرر الأكبر الذي وقع منه، حينما استحدث في رجب وشعبان على الباب الأيمن من باب البغلة[٢] دكة يجلس عليها أبواليمن النويري قاضي الشافعية؛ ليحكم عليها لكون بيته بجانب باب البغلة[٣] وقد عارض

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص١٠٨، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٧١، ١٧٢، الظاهري الحنفي: نيل الأمل، ق٥، ج٢، ص١٤٦، الجزيري: الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥٥.

(٢) باب البغلة: عرَّفه الأزرقي بباب بني سفيان بن عبدالأسد، وعرَّفه الفاسي بباب البغلة، ولعل سبب التسمية أن بغلتهﷺ ربطت أو وقفت ثمة في بعض الأوقات والله أعلم، وعرفه الرحالة أوليا جلبي بأنه:عبارة عن بابيْن متجاوريْن ومكشوفيْن ناحية الشرق، ويترك إلى الحرم بعشر درجات لكل منهما ولا ترى العين فوقهما أي خطوط. الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص٦٢٣، الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٣٩٣، أوليا جلبي (بن درويش محمد ظلي دميرجي أوغلي قرة أحمد ١٠٢٠هـ/١٦١١م /١٠٩٦هـ/١٦٨٤م): الرحلة الحجازية، ترجمها وقدم لها الصفصافي أحمد المرسي، مصر، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص٢٠٨، العاصمي: سمط النجوم، ج٤، ص٤٧٤، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ص٢٣١.

(٣) ابن فهد: إتحاف، ج٤، ص١٧٤، الدر الكمين، ج٢، ص٧٦٣، السخاوي: التبر المسبوك، ص١٦.

الأمير تنم المؤيدي[١] أول وصوله إلى مكة باعتباره ناظرًا للحرمين وشاد للعمائر بدلا من سودون بناء الدكة وأمر بخرابها ولكن الشريف علي بن حسن عارض وانفض المجلس بدون اتخاذ قرار، ثم اتفق الجميع على إخراب الدكة؛ لأنها مستحدثة وليس لوجودها أهمية ورتب محضر فيه غالب خط أهل مكة بأنها مستحدثة وتستحق الزوال، فضلاً عن وجود مثاليْن للشريف أبي القاسم والأمير تنم بخراب الدكة وبالفعل خربت بعد سفر الحجاج في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م وأعيد الباب على ما كان عليه[٢].

ولم يكن سودون متعلقًا بالقاضي النويري فقط بل تعلق بالقاضي عبد القاسم المالكي[٣] الذي تولي قضاء مكة أكثر من مرة ثم صرف

---

(١) تنم بن عبدالرازق المؤيدي أعتقه المؤيد وعمله خاصكيا ثم خازندار وومات قبل أن يلتحي وترقي في دولة الأشرف والظاهر والمنصور وحبس في عهد إينال، ثم أطلق سراحه في عهد خشقدم واستقر في نيابة الشام ولكن لم تحمد سيرته فعزل منها إلى أن مات ٨٦٨هـ/١٤٦٣م وفرح الناس بموته. ابن تغري بردي: النجوم، ج١٥، ص١٢٠، ١٢٩، السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٤٤ (١٨٢).

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٨٤، ١٩٨، السخاوي: التبر المسبوك، ص٤٧.

(٣) هو عبدالقادر بن أبي القاسم بن أبي العباس أحمد محمد عبدالمعطي السعدي العبادي المكي المالكي درس على علماء عصره، وباشر الشهادة عند سودون، وله مؤلفات عديدة ومات ولده واحتسب ذلك عند الله وأصيب بعمى في نظره وصبر لذلك، ثم أبصر بإحدى عينيه، ت ٨٨٠ هـ أو ٨٨١ هـ/١٤٧٥-١٤٧٦م. ابن فهد: الدر الكمين، ج٢، رقم ٨١١، ص٨٦١، ٨٦٧، السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٨٣، ٢٨٥ (٧٥٢).

عنه؛ بسبب تعلقه بسودون على الرغم من أن القاضي باشر القضاء بعفة ونزاهة. ولشدة ارتباطه بسودون عندما ابتنى القاضي داراً عظيمة بمكة فكان بعضهم يقول: إنه يصح الاعتكاف فيها لكونها فيما زعموا مبنية بآلات المسجد والله أعلم(١).

وبذلك تكون انتهت مهمة سودون المحمدي في مكة، ففي عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م عين يشبك الصوفي أحد إمرات العشرة ورؤوس النواب ومعه خمسون مملوكا في مكة عوناً لصاحب مكة على أخيه على أن يعود من بمكة وهو سودون المحمدي ومن معه من الجند إلى القاهرة وكانت هي المرة الأخيرة له في بلاد الحرمين وبعدها استقر في نيابة دمشق حتى وفاته ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م. (٢)

(١) السخاوي: الضوء اللامع، ج٤، ص٢٨٤.

(٢) الظاهري الحنفي: نيل الأمل، ق ٥/ ج٢، ص١٤٦.

خاتمة البحث:

- من خلال ما تقَّدم نجد عناية سلاطين المماليك بأمر بلاد الحرمين بلغ أشده وغايته خاصةً في عهد المماليك الجراكسة والذين وجهوا اهتمامهم إلى عمارة وترميم ما تخرَّب من بنايتها فلم يضنوا عليها بمال ولا جهد بل أوفدوا عليها الأمراء في فترات متتالية للعناية بها، وقد أتاح البحث معرفة بعض ما كانت تتعرض له مكة من آنٍ إلى آخر من حوادث طبيعية، من الأمطار الغزيرة وكثرة السيول التي كانت تجرف بمياهها إلى بيت الله الحرام وما ينجم عن ذلك من خسائر فادحة في الأرواح والأموال، حيث طبيعة أرض مكة الجبلية التي لا تتشرب المياه.
- وتناول البحث إصلاح سودون لسقف الكعبة أكثر من مرة بسبب ما فعلته الأمطار والسيول، ورغم تلك الإصلاحات إلا أن سقف الكعبة تعرض باستمرار للتجديد، فضلاً عن تجديده لحجارة الكعبة من الداخل.
- كما تناول البحث أيضاً جهود سودون في شد أروقة المسجد الحرام وما تطلبه ذلك من إرسال المؤن والمواد الخام من مسامير وخشب وغير ذلك من مصر؛ لعمارة المسجد الحرام فضلاً عن رصد الكثير من الأوقاف للنفقة على بلاد الحرمين.
- وذكر البحث عمارة سودون المحمدي لعدة مآذن في أماكن متفرقة وطلائها ولعل كثرة ترميم المآذن؛ بسبب عدم اتصالها بالمسجد مما جعلها سهلة السقوط والهدم، فضلاً عن رداءة المواد المستخدمة في البناء.

- وأظهر البحث وجود مقامات للفقهاء الأربعة واهتمام الدولة بأمر الفقهاء ومقاماتهم وما كان للقاضي الشافعي من أهمية كبيرة في فترات كبيرة، فضلاً عن اهتمام الدولة بتشييد المقام الحنفي وتزيينه وزخرفته كما تناول آراء بعض علماء الشافعية والحنبلية في بدعة المقامات. وما قام به سودون المحمدي من تشييد للمقام الحنفي وبسط أرضه بحجارة تقاوم الماء وهو شيء لم يستخدم من قبل.
- وعرض البحث بعض الصعاب والمشقات التي تواجه الحجاج والتغلب عليها حيث عمل سودون على إزالة أشجار السلم التي كانت تعيق مرور الشقاديف من طريق الحج، وإزالة كل ما يعيق حركتهم وتنقلهم.
- وبرز دور سودن المحمدي في تجديد الأعلام المبنية في طريق مكة؛ ليستدل بها على الطريق، حيث جدَّد منها الميل الثالث المقابل للميل الملاصق لمنارة علي، وعدة أميال أخرى.
- واهتمَّ سودون بإنارة الأماكن في مكة عن طريق قناديل معلقة خاصة في المواسم التي يكثر فيها زوار البيت الحرام. كما عمل سودون على إصلاح رخام حجر سيدنا إسماعيل وهذا أمر لم يقتصر على سودون المحمدي بل فعله شادة العمارة قبله.
- كما أظهر البحث كيفية الترقي في الوظائف بسبب المصاهرات حيث ما ناله سودون المحمدي من حظوة عند السلطان الظاهر جقمق؛ بسبب أنه كان زوجًا لأخت خوند مغل البارزية من أبيها، كما أن وظيفة نائب قلعة دمشق التي تولاها سودون، لا يتولاها إلا من هم أعلى من إمرة عشرة ولم تذكر المصادر أن سودون ترقى إلى إمرة طلبخاناه أو أمير مائة مقدم ألوف.

- كما أظهر البحث أيضاً بعض السلبيات للشخصية (سودون المحمدي) موضوع البحث، حيث تمسكه برأيه في ما يفعله، فضلاً عن تعرض بعض العلماء للضرب والإهانة والتعذيب؛ بسبب مخالفتهم لسودون في بعض الآراء. وإن كان بعض العلماء أصابهم التعذيب فهناك من عطف عليه سودون وعمل على بسط يدي الراحة له، مثل الفقيه الذي بني له دكة على باب البغلة لكون بيته قريبًا من الباب؛ ليباشر عليها أعماله حتى لا يتكلف مشقة الصعود والنزول من موضع آخر بالإضافة إلى أنه كان متكبراً ومغروراً فكان إذا سلَّم عليه أحد لا يردُّ عليه كما ذكرت المصادر.
- وعلى الرغم من اهتمام دولة سلاطين المماليك بعمارة المسجد الحرام إلا أن ظاهرة البذل والرشوة التي طفت على السطح قد تحكمت من وقتٍ لآخر في تولية من لا يصلح دينياً ولا خلقياً في المسجد الحرام وإن كان شريف مكة في فترة البحث قد تغلب على ذلك بالرفض والملاينة، لكن في أوقات أخرى لم يحرك شرفاء مكة ساكنا بسبب تنازعهم على مَنْ يتولى الشرافة فانصرفوا إلى إشباع رغباتهم الدنيوية.
- وقد استطاع سودون المحمدي إنجاز ما أُسند إليه من مهام وإن كان قد عوتب بما عليه من تكبره وترفعه على الناس، ولكن هي النفس البشرية كل له طبيعته التي يختلف أو يتفق عليها البعض ويكفي سودون أنه أراد التقرب إلى الله ونيل رضاه وإن أخطأ في الطريق الذي سلكه.

والله الموفق،

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١- **الأزرقي** (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م):

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جزآن، دراسة وتحقيق عبدالملك عبد الله بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

٢- **بن أوس الأنصاري** (أبوزيد سعيد بن أوس الأنصاري ت٣١٥هـ/٩٢٧م)

- كتاب الشجر والكلأ، تحقيق أنور أبو سويلم، محمد الشوابكة، دار الأبجدية، الأردن، ط١، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.

٣- **أوليا جلبي** (بن درويش محمد ظلي دميرجي أوغلي قرة أحمد ١٠٢٠هـ/١٦١١م /١٠٩٦هـ/١٦٨٤م):

- الرحلة الحجازية، ترجمها وقدَّم لها الصفصافي أحمد المرسي، مصر، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م.

٤- **ابن إياس الحنفي** (زين العابدين محمد أحمد ٨٥٢ -٩٣٠ هـ /١٤٤٨ -١٥٢٣م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م.

٥- **ابن بطوطة** (محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي٧٠٣ - ٧٧٩هـ /١٣٠٤- ١٣٧٧م):

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزئين، قدمه وحققه ووضع خرائطه وفهارسه: عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

٦- **ابن تغري بردي** (يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبوالمحاسن ت٨٧٤ هـ/١٤٧٠م):

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج١، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، ج١، تحقيق محمد فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي القاهرة.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ثلاثة عشر جزءًا، حققه ووضع حواشيه محمد محمد آمين، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ستة عشر جزءاً، قدَّمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

٧- **ابن جبير** (أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي ٥٣٩هـ ت ٦١٤هـ /١١٤٤- ١٢١٧م):

- رحلة بن جبير، دار صادر بيروت.

٨- **الجزيري الحنبلي** (عبدالقادر محمد بن عبد القادر الأنصاري ت٩٧٧هـ /١٥٦٩م):

- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، جزئين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٩- **ابن حجر العسقلاني** (شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد بن الكناني العسقلاني المصري الشافعي ٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ/١٣٧١-١٤٤٨م):

- إنباء الغُمر بأنباء العُمر، أربعة أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٠- **الحربي** (إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبدالله بن ديسم ١٩٨-٢٨٥هـ/٨١٣-٨٩٨م):

- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١١- **الحميري** (أبوعبدالله محمد بن أبي عبدالله بن عبدالمنعم الحميري عاش في القرن التاسع الهجري):

- الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

١٢- **الخالدي** (شمس الدين محمد ت ٨٦٨هـ/١٤٦٤م):

- الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء للخالدي، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصار،

ج١، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ٢٠٠٩م /١٤٣٠هـ.

١٣- **دحلان** (أحمد بن زيني ١٢٣٢ -١٣٠٤ هـ /١٨١٧ - ١٨٨٦م):

- تاريخ زيني الدين دحلان المسمى خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبيﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق أبوعبدالله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي الشيخ القاهري المصري الشهير بمحمد فارس الشيخ، رأفت عبدالعزيز، مطبوعات أرض الحرمين.

١٤- **ابن رسته** (أحمد بن عمر، أبوعلي توفي نحو ٣٠٠ هـ/ نحو ٩١٢م):

- الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، ويليه البلدان لليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٨٩٣م.

١٥- **ابن رشيد** (أبوعبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ت٧٢١هـ/١٣٢١م):

- ملء الغيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج٥ الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخواجة، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٦- **السبكي** (أبونصر تاج الدين عبدالوهّاب بن على بن عبدالكافي (١٣٢٧ - ١٣٧٠م/ ٧٢٧ هـ - ٧٧١ هـ):

- معيد النعم ومبيد النقم، حققه وعلَّق عليه محمد على

النجار، أبوزيد الشلبي، محمد أبوالعيون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٧- **السخاوي** (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان المصري الشافعي ٨٣١ هـ -٩٠٢ هـ/ ١٤٢٧ - ١٤٩٧م):

- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه أسعد طرابزوني الحسيني، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، اثنا عشر جزءًا، دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، أربعة مجلدات، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي مؤسسة الرسالة.

١٨- **السمعاني** (أبوسعد عبد الكريم ابن الإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن العلامة أبوالمظفر السمعاني منصور بن عبدالله التميمي المروزي الشافعي ٥٠٦ /٥٦٢هـ/١١١٢- ١١٦٦م):

- الأنساب، حققه وعلَّق عليه عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م

١٩- **السنجاري** (علي بن تاج الدين بن تقي الدين ١٠٥٧هـ- ١١٢٥هـ):

- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ستة أجزاء،

تحقيق، جميل عبدالله المصري، ماجدة فيصل زكريا، ملك محمد خياط جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٠- **السيوطي** (عبدالرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، ٨٤٩ هـ/١٤٤٥ م-٩١١ هـ/١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزآن، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٦٨م/١٣٨٧هـ.

٢١- **ابن شاهين الظاهري** (غرس الدين خليل بن شاهين الشيخي الصفوي المقدسي القاهري الحنفي أبوالصفا ٨١٣-٨٧٣هـ/١٤١٠-١٤٨٦م).

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق ومسالك الأبصار، عُني بتصحيحه بولس رويس، مطبعة باريس المحروسة، ١٨٩٤م.

٢٢- **الشوكاني** (شيخ الإسلام محمد بن علي بن محمد ١١٧٣-١٢٥٥هـ/١٧٥٩-١٨٣٩م):

- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل وشرح الصدور في تحريم رفع القبور ورفع الريبة عن ما لا يجوز من الغيبة والدواء العاجل في دفع العدو الصائل، طبعه وصححه وراجعه جماعة من المؤمنين الموحدين، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م.

٢٣- **الصباغ** (محمد أحمد بن سالم محمد المالكي المكي ١٢٤٣هـ - ١٣٢١هـ):

- تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، جزآن، تحقيق ودراسة عبدالملك بن عبدالله دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٤- **الصنغاني** (الحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام ١٢٦- ٢١١هـ /٧٤٣-٨٢٦م):

- المصنف، ١٢ جزءاً، عُني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه، الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، المكتب الإسلامي بيروت.

٢٥- **الصوفي الشافعي** (محمد بن أبي الفتح ت ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م):

- الصفوة في وصف المملكة المصرية تحقيق: هبه محمد ياسين حجة، نابلس فلسطين ٢٠١٤م.

٢٦- **ابن الصيرفي**:(علي بن داوود الخطيب الجوهري المعروف٨١٩- ٩٠٠هـ/١٤١٦-١٤٩٤م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ أجزاء، تحقيق وتعليق حسن الحبشي دار الكتب ١٩٧٢م.

٢٧- **ابن الضياء** (محمد بن أحمد محمد القرشي العمري المكي الحنفي بهاء الدين أبوالبقاء ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م):

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق علاء إبراهيم، أيمن نصر، دار الكتب

العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٨- **الطبري** (علي بن عبد القادر ت١٠٧٠هـ/١٦٥٩م):

- الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تحقيق أشرف أحمد الجمال، إشراف سعيد عبد الفتاح، المكتبة التجارية مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٩- **الظاهري الحنفي** (أبوالمكارم زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الملطي الحنفي ٨٤٤-٩٢٠هـ/١٤٤٠ -١٥١٥م):

- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٠- **ابن ظهيرة** (محمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المخزومي ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م):

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣١- **العاصمي المكي** (عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي ١٠٤٩ -١١١١هـ/ ١٦٣٩ -١٦٩٩م):

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، أربعة أجزاء، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٢- **ابن عبدالظاهر** (محيي الدين أبوالفضل عبدالله بن رشيدالدين عبدالظاهر السعدي المصري ٦٢٠-٦٩٢هـ/١٢٢٣-١٢٩٢م):

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور في الفترة ٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م، حققه مراد كامل، راجعه محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦١م.

٣٣- **العبدري** (محمد بن محمد بن علي بن أحمد أبوعبدالله الحيحي٦٨٩هـ/١٢٩٠م):

- الرحلة العبدرية ٦٨٨هـ /١٢٨٩م، مخطوطة وقفها أحمد السلموني برواق المغاربة بالجامع الأزهر.

٣٤- **الغازي الحنفي** (العلامة المحدث عبدالله بن محمد المكي ١٢٩٠هـ -١٣٦٥هـ /١٨٧٣ -١٩٤٧م):

- إفادة الأنام بذكر أخبار البلد الحرام مع تعليقه المسمى بالتمام، سبعة أجزاء، دراسة وتحقيق عبد الملك عبدالله بن دهيش، ط١، مكة المكرمة مكتبة الأسدي، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.

٣٥- **الغزي العامري الشافعي** (الإمام رضي الدين أبي البركات محمد بن أحمد بن عبدالله ت ٨٦٤هـ):

- بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين، ضبط النص وعلَّق عليه أبويحيى عبدالله الكندري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٦- **الفاسي** (الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد الفاسي ٧٧٥هـ-٨٣٢هـ/١٣٥٤-١٤٢٨م):

- الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جزآن، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٨هـ /٢٠٠٨م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ثمانية أجزاء، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٧- **الفاكهي** (أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي من علماء القرن الثالث الهجري):

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبدالملك عبدالله بن دهيش، ستة أجزاء، دار خضر بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

٣٨- **أبوالفدا** (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

- تقويم البلدان، دار صادر بيروت، ١٨٤٠م.

٣٩- **ابن فضل الله العمري** (شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

- التعريف بالمصطلح الشريف، عُني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٧ جزءًا، أشرف على تحقيق الموسوعة كامل سلمان الجبوري، وحقق أجزاءً منها مهدي النجم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٠م /١٤٣٤م.

٤٠- **ابن فهد**(عمر محمد محمد محمد بن فهد٨١٢-٨٨٥هـ)

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، خمسة أجزاء، ثلاثة منها تحقيق وتقديم: فهيم شلتوت، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٤، تحقيق وتقديم عبد الكريم على باز، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م والجزء الخامس فهرس.
- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ٣ أجزاء، دراسة وتحقيق عبد الملك بن عبدالله دهيش، ط١، ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.
- معجم الشيوخ، تحقيق محمد الزاهي، وتقديم حمد الجاسر، دار اليمامة الرياض.

٤١- **ابن قاضي شهبه** (أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين (٧٧٩-٨٥١هـ/ ١٣٧٧-١٤٤٨م):

- طبقات الشافعية، ج٤، عُني بتصحيحه وعلَّق عليه ورتَّب فهارسه الحافظ عبد العليم خان، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند.

٤٢- **القلقشندي** (أبوالعباس القاضي شهاب الدين أحمد بن علي أحمد ٧٥٦-٨٢١ه-١٣٥٥-١٤١٨م):

- صبح الأعشى، أربعة عشر جزءاً، المطبعة الأميرية، القاهرة طبعات متفرقة من سنة ١٣٣٠هـ-١٣٤٠هـ/ ١٩١٢م-١٩٢٢م.
- ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر مختصر صبح الأعشى في كتابة الإنشا، عُني بطبعه وتصحيحه ومقابلته على أصله محمود سلامة، الطبعة الأولى، ١٩٠٦م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٤٣- **الكتبي** (محمد بن شاكر أحمد بن عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):
- فوات الوفيات والذيل عليها، م ٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

٤٤- **محب الدين المكي** (الحافظ أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الطبري ٦١٥ -٦٩٤هـ/١٢١٨-١٢٩٤م):
- القِرى لقاصد أم القُرى، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م.

٤٥- **محمد بن عيسي بن كنان** (١٠٧٤ هـ-١١٥٣م):
- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤٦- **المقريزي** (تقي الدين أحمد ١٤١٢هـ/بن علي٧٦٤ - ٨٤٥هـ/١٣٦٤-١٤٤٢م):
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مجلدان، حققه

وعلق عليه محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج٣، ج٤، حققه وقدَّم له سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتب، ١٩٧١م، ١٩٧٢م.
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققها وكتب مقدمتها ووضع فهارسها، أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠٠٢م.

٤٧- **ابن منظور** (أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ /١٢٣٢ م - ١٣١١م):

- لسان العرب، دار صادر بيروت.

٤٨- **الميموني** (إبراهيم بن محمد عيسي المصري الشافعي ت ١٠٧٩هـ /١٦٦٨م):

- تهنئة أهل الإسلام بتجديد بيت الله الحرام، مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة الرياض.

٤٩- **النابلسي** (عبدالغني بن إسماعيل ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م):

- الحقيقة والمجاز والرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٥٠- **ناصر خسرو** (أبومعين الدين الحكيم القبادياني المروزي ٣٩٥-٤٨١هـ/١٠٠٤-١٠٨٨م):

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبدالوهاب عزام الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٥١- **ابن ناظر الجيش** (تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد التميمي الحلبي ٦٩٧-٧٧٨هـ/١٢٩٨-١٣٧٧م):
- تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.

٥٢- **النهروانـي** (محمد أحمد محمود الملقب بقطب الدين الحنفي ٩١٧هـ- ٩٩٠م/١٥١١-١٥٨٠م):
- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق وتقديم هشام عبدالعزيز عطا، إشراف السيد عبد الفتاح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٥٣- **ياقوت الحموي** (الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي ٥٧٤-٦٢٢هـ/١١٧٨-١٢٢٥م):
- معجم البلدان، دار صادر بيروت ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م.

٥٤- **اليعقوبي** (أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر وهب بن واضح ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م):
- البلدان وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م.

٥٥- **اليوسفي** (موسى بن محمد بن يحيى ت ٧٥٩هـ/١٣٥٨م):
- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ودراسة أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت.

ثانياً: المراجع باللغة العربية:

٥٦- **إبراهيم رفعت باشا:**

- مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية محلاة بمئات الصور الشمسية، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

٥٧- **إبراهيم علي طرخان:**

- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٥٨- **أحمد السباعي:**

- تاريخ مكة دراسات في السياسة وعلم الاجتماع والعمران، الجزء الأول، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

٥٩- **أحمد السعيد سليمان:**

- تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف ١٩٧٩م.

٦٠- **أيوب صبري باشا:**

- مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد متولي الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

٦١- **حسن الباشا:**

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج٢، دار

النهضة العربية، ١٩٦٦م.

- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، م١، أوراق شرقية، ط١ ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٢- **حسن محمد زكي**:

- في الفنون الإسلامية، نوابغ الفكر، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

٦٣- **حسين عبدالله باسلامة**:

- تاريخ عمارة المسجد الحرام بما احتوى من مقام إبراهيم وبئر زمزم والمنبر وغير ذلك، دار تهامة المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م.
- تاريخ الكعبة المشرفة عمارتها وكسوتها وسدنتها، ط١ /١٣٥٤هـ.

٦٤- **الزركلي** (**خير الدين**):

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الخامسة عشرة مايو ٢٠٠٢م.

٦٥- **سائد بكداش**:

- فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بهما، دار البشائر الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م.

٦٦- **سعيد عبدالفتاح عاشور**:

- بيبرس، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

- العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

٦٧- **السيد عبدالعزيز سالم**:

- البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م.

٦٨- **طه عبدالقادر عمارة**:

- تاريخ عمارة وأسماء المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، جامعة أم القرى، مركز أبحاث الحاج.

٦٩- **عاتق غيث البلادي**:

- معجم معالم الحجاز، ج١، دار مكة للتوزيع، مؤسسة الريان، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٧٠- **عاصم محمد رزق**:

- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٠م.

٧١- **عبدالرحمن فهمي محمد**:

- النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤م.

٧٢- **عبدالسلام أحمد نظيف**:

- دراسات في العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٧٣- **عبدالله عطية عبد الحافظ**:

- معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام (من

خلال ما ورد على عمائرهم وفي الوثائق والمصادر التاريخية)، دار النيل، القاهرة.

٧٤- **عبدالملك بن عبدالله بن دهيش**:

- الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به دراسة تاريخية وميدانية، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.

٧٥- **فتحي سالم حميد اللهيبي/فائز علي بخيت الحديدي**:

- جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي تفسير جديد، جامعة الموصل، ٢٠١٤م /١٤٣٥هـ.

٧٦- **فريد محمود شافعي**:

- العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.

٧٧- **فهيم فتحي إبراهيم عطا الله أحمد حجازي**:

- دراسة مقارنة لأساليب التخطيط في العمائر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي، المكتب العربي للمعارف، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.

٧٨- **كامل أسود قادر**:

- دور الكرد الحضاري في مصر وبلاد الشام خلال عهد دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)، مطبوعات الأكاديمية الكوردية، العدد (٢٦٧) آربيل ٢٠١٤م.

٧٩- **محمد إلياس عبد الغني/ ومعاوية إلياس عبد الغني**:

- تاريخ مكة المكرمة المصور، مطابع الرشيد المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢م.

٨٠- **محمد أحمد دهمان**:

- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٨١- **محمد سهيل طقوش**:

- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ – ١٥١٧م، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨٢- **محمد طاهر الكردي**:

- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ستة أجزاء، دار خضر للطباعة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٨٣- **محمد عبدالعال أحمد**:

- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقة اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/١٢٣١-١٥١٧م)، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.

٨٤- **محمد لبيب البتنوني**:

- الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩هـ.

٨٥- **محمد محمد أمين**:

- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨هـ- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٦- **محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم**:

- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، الطبعة

الأولى ١٩٩٠م.

٨٧- **محمد محي الدين عبدالحميد /محمد عبد اللطيف السبكي**:

- المختار من صحاح اللغة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٨٨- **محمود نديم أحمد فهيم**:

- الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري ٦٤٨-٧٨٣هـ /١٢٥٠-١٣٨٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٨٩- **نعيم زكي فهمي**:

- طرق التجارة بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م /١٣٩٣هـ.

٩٠- **وصي الله محمد بن عباس**:

- المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ.

٩١- **ولفرد جوزف دللي**:

- العمارة العربية بمصر في شرح المميزات النائية الرئيسية للطراز العربي، ووضع رسومه المستر ق٣ تشاترتون طبقاً لرسومات المؤلف الأصلية وملاحظاته، تعريب محمود أحمد، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

٩٢- - **يحيى وزيري**:

- موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، أربعة أجزاء مكتبة مدبولي ١٩٩٩م.

ثالثاً: الأبحاث والدوريات:

٩٣- **إيلاف عاصم مصطفى القيسي**:

- التجارة الكارمية في عصر المماليك بمصر (١٢٦٠- ١٥١٧م) رسالة دكتوراه كلية التربية، بغداد، ١٤٢٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٩٤- **عبدالحفيظ حمدي بن حامد السالمي**:

- الحياة الدينية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي ٦٤٨هـ - ٩٢٣هـ رسالة ماجستير، إشراف ضيف الله بن يحيى الزهراني، ١٤٢٤ -١٤٢٥هـ.

٩٥- **محمد أمين صالح**:

- تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، بحث مصغر في مجلة دارة الملك عبدالعزيز، بدون تاريخ.

٩٦- **محمد حسين حامد الحارثي**: **الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية** إلى نهاية العصر المملوكي (٦١١م-٩٢٣هـ /١٢١٤-١٥١٧م) رسالة ماجستير ١٤٢٢هـ، جامعة أم القرى.

٩٧- **محمد عبدالله صالح**:

- الحرم المكي الشريف نشوءه وتوسعاته وتأثيره على محيطه العمراني قبل التوسعات السعودية، أبحاث ندوة عمارة المساجد، م١، كلية العمارة والتخطيط جامعة الملك سعود الرياض، ١٤١٩هـ /١٩٩٩م.

٩٨- **محمد محمود خلف العناقرة**:

- الحياة التجارية والاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جامعة اليرموك، كلية الآداب.